مصطفى تيلوين



مدخل عام في الانثروبولوجيا



منشورات الاختلاف

مدخل عام في الأنثروبولوجيا

مصطفى تيلوين

مدخل عام في الأنثروبولوجيا

دار الفارابي منشورات الاختلاف

الكتاب: مدخل عام في الأنثروبولوجيا
المؤلف: مصطفى تيلوين
الغلاف: فارس غصوب
الناشر: * دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)
ص.ب: 11/3181 ـ الرمز البريدي: 2130 1107
e-mail: info@dar-alfarabi.com
www.dar-alfarabi.com

* منشورات الاختلاف
149 شارع حسيبة بن بو علي
الجزائر العاصمة ـ الجزائر
هاتف/فاكس 21676179 213+
email: editions.elikhtilef@gmail.com

الطبعة الأولى 2011
ISBN: 978-9953-71-706-7

إهداء

إلى ذكرى الغائبين

إلى روح والدي وأخي

إلى كل أجلاء الفكر وعظمائه

إلى كل الذين ضحّوا بجهودهم وأوقاتهم وأرواحهم من أجل أبدية الحقائق، وإنارة العقول الإنسانية التي وهبوها العناصر الضرورية بهدف التقدّم والتطوّر الفكري والمادي.

مصطفى تيلوين

المقدمة

تعتبر الأنثروبولوجيا علماً من العلوم الإنسانية التي لاقت رواجا كبيرا وشهرة واسعة خصوصاً في الدول الانكلوساكسونية وبشكل متميز في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبار هذه الأخيرة خليطاً ومزيجاً من الثقافات والاثنيات فأغلب الإبداعات النظرية والعملية كانت في هذا البلد، أي الولايات المتحدة الأمريكية واتسمت الأبحاث الأنثروبولوجية في مجملها بالنزعة الثقافية، وأطلق على علماء الأنثروبولوجيا الأميركيين اسم أصحاب المرجعية أو التيار الثقافي من دون أن ننسى فرنسا التي دخلت خريطة البحث الأنثروبولوجي من خلال مجموعة من الأسماء العالمية أمثال: "كلود ليفي ستراوس" "جورج دوميزيل" و"مارسيل موس" إلا أن غايات الأنثروبولوجيا وأهدافها في فرنسا كانت تختلف اختلافاً كبيراً عمّا هو موجود في أميركا.

فالهدف الاستراتيجي والرئيسي للانثروبولوجيا الفرنسية أو الإثنولوجيا هو معرفة الآخر، أي معرفة ثقافته وطريقة تفكيره وقيمه من أجل امتلاكه أو بالأحرى استغلاله واستعماره. باختصار، إن الأنثروبولوجيا الفرنسية كانت لها أهداف استعمارية، إذ ساعد الانثروبولوجيون ساسة فرنسا في استعمار الكثير من الدول وعلى رأسها الجزائر. إن هذه المقاربة بين مرجعيتين انثروبولوجيتين مختلفتين بين الدول الانكلوساكسونية التي تتزعمها أميركا والدول الفرنكوفونية التي تتزعمها فرنسا. لكن بالرغم من بعض العناصر السلبية التي احتوتها إلا أن إيجابياتها كانت أوسع وأشمل فكيف ذلك؟ إن الأنثروبولوجية مهما كان المكان الذي أنتجت فيه فإنها، بالدرجة الأولى، بحث إنساني كامل وشامل حول المكتسبات الثقافية والقيمية للإنسان؛ فبفضل هذا العلم استطعنا نحن كائنات القرن الواحد والعشرين، أن نعرف نمط وطبيعة وطريقة تفكير المجتمعات التقليدية، ومن خلال هذا الكتاب سنحاول رصد وتتبع أهم إنتاجات الأنثروبولوجيا من الناحية التنظيرية والميدانية، وأهم التيارات والمدارس التي ساهمت في بلورة وصياغة الشكل العام للبحث

الأنثروبولوجي من دون أن نهمل الأقطاب الذين حركوا هذا العلم بمختلف مدارسه وفروعه ونظرياته ومفاهيمه المركزية والأساسية. ولهذا، فالإشكالية التي يتمحور حولها بحثنا هذا تتجلى في: ما هي الأنثروبولوجيا؟ ما طبيعتها؟ ما هي موضوعاتها الرئيسية وفروعها المختلفة؟ وما هي أهم المناهج التي اعتمدتها؟ وما هي أهم النظريات التي أبدعت في هذا المجال؟ أو ما هي أهم المدارس التي فعلت صيرورة البحث الأنثروبولوجي ومن هم أهم أقطابها؟ وما الفرق بين البحث النظري والميداني في هذا المجال؟.

إن أي بحث كما نعرف بداهةً، تحركه مجموعة من الدوافع سواء أكانت ذاتية أو موضوعية؛ فالدافع الذاتي هو اهتماماتنا في هذا المجال الذي رأينا فيه تحقيقا لانشغالاتنا المعرفية، وبالتحديد تلك الاهتمامات العملية والميدانية التي لم نجدها في العلوم الإنسانية الأخرى. أما الدافع الموضوعي والعلمي فيتجلى في محاولة إغناء المكتبة الجزائرية ببحث جديد لعله يفيد المختص، وبالخصوص الباحث المهتم بهذا المجال وعلى رأسهم الطلبة، ومن هنا أسسنا لذلك داخل إطار منهجي تاريخي

وتحليلي من دون أن نقصي مناهج أخرى كالمنهج الوصفي ومنهج ضبط التصورات والمفاهيم ومنهج المقاربات. وككل بحث جاد فإن هناك صعوبات واجهتنا هي قلة المصادر والمراجع ذات العلاقة في هذا المجال. وهذا ما دفعنا لاعتماد الترجمة كوسيلة لاغناء هذا البحث وإثرائه.

ولكي تتضح صورة العمل بشكل منطقي متسلسل حاولنا تقسيمه من خلال اللوحة التالية:

مقدمة تتضمن مجموعة من الإشكاليات المركزية والجوهرية، بالإضافة إلى فصلين يحتوي كل منهما على أربعة مباحث.

الفصل الأول: ماهية الأنثروبولوجيا، فروعها وعلاقتها بعلم النفس وعلوم التربية.

الفصل الثاني: النظريات الكبرى في الأنثروبولوجيا وعلاقتها بمنهجية البحث الميداني وموضوع التغير الثقافي وعوامله، وأهم المقاربات بين الأنثروبولوجيا والاثنولولوجيا.

ومن الطبيعي أن تكون هناك خاتمة استنتاجية لهذا العمل...

الفصل الأول

ماهية الأنثروبولوجيا: فروعها وعلاقتها بعلم النفس وعلوم التربية

المبحث الأول: ماهية الانثروبولوجيا

المبحث الثاني: فروعها

المبحث الثالث: علاقتها بعلم النفس

المبحث الرابع: علاقتها بعلوم التربية

المبحث الأول

ماهية الأنثروبولوجيا وموضوعاتها

مقدمة

بالرغم من قدم هذا المصطلح أو هذه الكلمة في تاريخ المعرفة الإنسانية إلا أن استعمالها بدأ فعليا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث ازداد الاهتمام بها وبالخصوص في الأوساط الثقافية الأنكلوساكسونية(*) (بريطانيا وأميركا)، وكان الاهتمام في هذه المرحلة منصباً على الأنثروبولوجيا البيولوجية أو الفيزيائية، أي أن الجسد كان محور اهتمامات الدراسات الأنثروبولوجيا ومركزها. وبعد ذلك تم جمع الموضوعين كليهما في موضوع واحد سمي بالأنثروبولوجيا الاجتماعية.

(*) الدول الأنكلوساكسونية هي تلك الدول الناطقة باللغة الانجليزية أي لغتها الرسمية هي اللغة الانجليزية وأشهرها بريطانيا وأميركا كما نجد دولا ناطقة بالفرنسية نسميها الدول الفرونكفونية.

- على سبيل المثال اعتقاد الإفريقيين أن التعاويذ مثل الرقية سواء أكانت على شكل طلاسم (ألغاز) أو على شكل عقاقير أو على أشكال هندسية ترسم على الجسد وبألوان مميزة قد تذهب الأرواح الشريرة.

ملاحظة: في فرنسا نجد أن مرادف كلمة أنثروبولوجيا هو كلمة إثنولوجيا(*)؛ ونحن نستنتج أن كلمة أنثروبولوجيا قديمة لكن من حيث الموضوع فهي معاصرة .من هنا وجب أن نتساءل: ما هي الأنتربولوجيا وما هي موضوعاتها الرئيسية؟

لهذا وجب علينا أولا أن نعرّف الأنثروبولوجيا لنعرف فيما بعد موضوعاتها الأساسية والمركزية. وكما تعلمون فإنّ هناك شكلين من التعريفات: تعريف اشتقاقي لغوي وتعريف اصطلاحي .

وأول ما نبدأ به من الناحية المنهجية هو التعريف

(*) اثنولوجيا بالفرنسية (ethnologie) مشتقة من الاغريقية (ethnos) ومعناها العرق أو الشعب و(logos)، معناها العلم، وتعرف اصطلاحا على أنها دراسة نظرية وتركيبية للوثائق المكتوبة التي تركتها الأمم السابقة كالكتابة الهيروغلفية على ورق البردي.

الاشتقاقي أو اللغوي. ومن هنا وجب أن نتساءل مرة أخرى كيف تعرف كلمة الأنثروبولوجيا لغويا؟.

1 - التعريف الاشتقاقي (la définition étymologique)

بالفرنسية: "(anthropologie) مشتقة من الكلمة الإغريقية (anthropos) ومعناها إنسان ولوغوس من (logos) ومعناها خطاب أو بحث أو دراسة أو علم وهنا نفضل كلمة علم"[1].

* معنى فلسفي عام: "الأنثروبولوجيا هي علم وصفي للإنسان".[2]

2 - التعريف الاصطلاحي: (définition terminologique)

أ - "هي علم من العلوم الإنسانية يهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية وشمولية"[3].

---

(1) Russ J Jacqueline, *dictionnaire de philosophie*, bordas, paris, 2004 p:24.

(2) ibid, p:24.

(3) ibid, p:24.

ب - " الأنثروبولوجيا علم من العلوم الإنسانية يهتم بدراسة الإنسان من حيث قيمه (قيم جمالية، دينية، أخلاقية، اقتصادية، وثقافية،و اجتماعية) ومكتسباته الثقافية".[1]

- وقد أعطيت تعريفات أخرى لمصطلح أنثروبولوجيا ارتبطت بتطورها التاريخي.

* التطور التاريخي للانثروبولوجيا وعلاقته بموضوعاتها:

أ - "في القرن السابع عشر كانت كلمة أنثروبولوجيا تطلق في مقابل الكسمولوجيا وهو علم الكون وفي مقابل الثيولوجيا (علم الإلهيات)"[2].

ب - "في نهاية القرن التاسع عشر اهتمت الأنثروبولوجيا بدراسة الأجناس والأعراق البشرية المختلفة من حيث أصلها (على سبيل المثال ما هو أصل الهنود

---

(1) ibid, p:25.

(2) Folquié - Paul - *dictionnaire de la langue philosophique*, puf, 5ème éditions, 1986 p:36.

الحمر؟) وتاريخها وحضارتها وقيمها. ومن أنصار هذا التعريف الطبيب والعالم الفرنسي بروكا (broca) الذي ولد عام (1824) وتوفي عام (1880)، والعالم الانثروبولوجي الفرنسي الآخر كاتروفاج (quatrefages) (1810-1892)[1].

ج - أما في عصرنا الحالي فان الأنثروبولوجيا ترتبط عادة بفكرة الأجناس والأعراق البشرية والإنسانية من حيث قيمها وثقافتها، ومن أشهر ممثلي هذا التعريف الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليڤي ستراوس (Claude-Levy Strauss)[2].

الآن كيف يعرف الأنثروبولوجيون الأنثروبولوجيا؟ في هذا المجال سنأخذ بعين الاعتبار تعريف كلود ليفي ستراوس باعتباره من أكبر الأنثروبولوجيين في عالمنا المعاصر .

- تعريف كلود ليفي ستراوس: "إن الأنثروبولوجيا

---

(1) ibid p36.

(2) ibid p36.

تهدف إلى معرفة كلية وشمولية للإنسان في علاقته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي»[1].

- ماهية موضوعات الأنثروبولوجيا: إن الموضوع الرئيسي للانثروبولوجيا يتمثل في تحديد القوانين العامة لحياة الإنسان في المجتمع سواء عند الشعوب البدائية أو الشعوب الحديثة والمعاصرة، وتختلف موضوعات الأنثروبولوجيا باختلاف المدارس والاتجاهات، التي تنوعت واختلفت باختلاف المدارس والتيارات التي تمثلها ويمكن حصرها في ما يلي:

1 - الأنثروبولوجيا التطبيقية وموضوعاتها تطبيق النظريات الأنثروبولوجيا، ومن ثم تطبيق نتائج هذه النظريات من خلال ما يسمى بالبحث الأنثروبولوجي للتحكم في المجتمعات وإدارتها بشكل نموذجي سواء سياسيا أو ثقافيا أو عسكريا الخ...

2 - الأنثروبولوجيا الثقافية: وتهتم بثقافة المجتمعات

---

(1) Levy - strauss claude, *anthropologie structurale*, 1978, plon, p:388.

(القيم الثقافية) كالعادات والتقاليد مثل الأساطير، الخرافات، الطقوس الدينية ونظام تقسيم الطبقات على أساس أصول العائلات، وتهتم كذلك بالإيديولوجيات التي تتحكم بالمجتمعات.

هذا على هذا سبيل الذكر لا الحصر حيث هناك أنثروبولوجيا الفن، الأنثروبولوجيا الاقتصادية، القانونية، الطبية، الفيزيائية، السياسية،الاجتماعية، المدنية أو ما يسمى بانثروبولوجيا التهيئة العمرانية التي تهتم بالقيم المرتبطة بالمدينة والأنثروبولوجيا المعرفية البيولوجية البصرية وترتبط باستعمال الصور مثل الرسومات، الصور والأفلام الخ... والأنثروبولوجيا البيولوجية، وهذا ما سنحاول التفصيل فيه في مكان آخر من هذا الكتاب.

– موضوع أنثروبولوجيا الفن: تهتم هذه الأنثروبولوجيا أو هذا النوع من الأنثروبولوجيا بتحليل موضوعات أو صور متميزة تشبه ما يسمى بالأعمال الفنية في مجتمعاتنا. هذه الأعمال الفنية التي أنتجتها المجتمعات التقليدية، أي المجتمعات القديمة كتماثيل الحضارة اليونانية أو رسومات

الحضارة المصرية. باختصار إن هذه الأنثروبولوجيا تهتم بموضوعات الفن سواء أكان بحثاً أو رسماً الخ...

- موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية وهي مرادفة للانثروبولوجيا الثقافية.

- موضوع الأنثروبولوجيا الاقتصادية: تهتم بالقيم الاقتصادية كالعمل أو الشغل، التوفير، الاستثمار، وسائل الإنتاج، وصيرورة السوق والإيديولوجيات المتحكمة في الاقتصاد والحوافز التي تشجع على القيام بالأنشطة الإقتصادية الناجحة من دون أن ننسى السلعة وسلطتها على المجتمع ودور الإشهار في الترويج لهذه السلعة.

- موضوع الأنثروبولوجيا البيولوجية: هذه الأنثروبولوجيا تهتم بأصل الإنسان كنوع ينتمي إلى جنس، بالإضافة إلى ذلك فان هذه الأنثروبولوجيا تهتم بالطبيعة وإشكالية الحياة وأسبابها المتحكمة فيها من دون إهمال التنوع البيولوجي لدى الكائنات الحية ودور الوراثة في تغيير سلوك الإنسان ودور المحيط كذلك في إعطاء الشكل العام لحياة الإنسان.

- موضوع الأنثروبولوجيا المعرفية: تهتم بالملكات العقلية كالفكر وما يمثله من تمثلات ومن ثم علاقة هذه التمثلات بالفكر والواقع. بالإضافة إلى ذلك فهي تهتم بصيرورة اكتساب المعارف وكيفية تثبيتها في الذاكرة لكي تتحول إلى مفاهيم ورموز.

- موضوع الأنثروبولوجيا الطبية: وتهتم بالقيم الطبية في مجتمع الصحة العضوية، النفسية والروحية. بالإضافة إلى ذلك تهتم بالمرض، أسبابه وتاريخه، وكذلك بالمؤسسات الطبية كالمستشفيات ودورها في حماية صحة الإنسان والمواطن.

- موضوع الأنثروبولوجيا القانونية: تهتم بالقانون، وتاريخ التطورات التي حدثت عليه ومستويات تطبيقاته في المجتمع وتاريخ النظم القانونية، وتهتم بالمقاربة بين القوانين الوضعية والإلهية والعلاقة بينهما.

- موضوع الأنثروبولوجيا السياسية: وتهتم هذه الأنثروبولوجيا بأشكال المجتمعات والسلطة التي تتحكم فيها سواء أكانت العائلة أو المؤسسات الدينية أو

المؤسسات الاقتصادية كالبيروقراطية ومؤسسات الدولة الخ...

- موضوع الأنثروبولوجيا المدنية: وتهتم بالقيم المدنية والعلاقة الموجودة بين المدينة والريف وأنماط المعيشة في كليهما.

- موضوع الأنثروبولوجيا الفيزيائية: وتهتم بدراسة التغيرات الجسدية والفيزيولوجية طبقا للمؤثرات الفيزيائية كالمناخ وتلوث البيئة والكوارث الطبيعية على الإنسان.

المبحث الثاني

فروع الأنثروبولوجيا

مقدمة

إن الأنثروبولوجيا تحتوي على الكثير من الفروع التي تختلف باختلاف الموضوعات التي تتناولها وتعالجها. ولقد تطورت هذه الموضوعات مع تطوّر المجالات المعرفية التي حاولت الأنثروبولوجيا أن تعرفها، وأن تكون معرفة قائمة حولها بذاتها من حيث الموضوع والقوانين والمنهج. ولهذا وجب أن نتساءل: ما هي هذه الفروع التي تناولتها الأنثروبولوجيا بالدراسة والبحث؟ ما هي موضوعاتها الرئيسية؟ وما هي القواعد والأسس التي تحكمها؟

- إن فروع الأنثروبولوجيا كثيرة، ولا يمكن حصرها، وفي هذه السّياق سنحاول دراسة وتحليل ما يهم مقياس

الأنثروبولوجيا اليوم؛ ويمكننا أن نحددها في الفروع التالية: الأنثروبولوجيا العضوية أو الفيزيقية، الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، الأنثروبولوجيا اللغوية والتربوية وعلم الآثار والأركيولوجيا، وأول فرع سنقوم بدراسته هو:

1 - الأنثروبولوجيا العضوية أو الفيزيقية:

(Anthropologie biologique ou physique)

هو مجال في الأنثروبولوجيا يحاول أن يبحث في أصل الإنسان، باعتباره نوعا ينتمي إلى الجنس، والبحث كذلك في الطبيعة وفي مفهوم التطور والأسباب والعلل التي تتحكم في الاختلافات البيولوجية عند الإنسان ومقارنته بالأنواع الأخرى من الكائنات الحية.

وأهم الموضوعات التي يتناولها هذا الفرع من الأنثروبولوجيا هي: ما هو دور علم الوراثة والمحيط في تطور الإنسان؟ وبهذا تتلاقى الأنثروبولوجيا باعتبارها علما من العلوم الاجتماعية مع العلوم الطبيعية . وكلا العلمين يكمل الآخر، والدليل على حاجة الأنثروبولوجيا إلى العلوم الطبيعية يتمثل في البحث عن أصل البشرية من

خلال طريقتين. الطريقة الأولى: وسميت بالطريقة المباشرة، وذلك من خلال دراسة المستحثات (بقايا الإنسان)، وطريقة غير مباشرة: من خلال دراسة الكائنات الحية غير الإنسانية، لكنها أقرب إلى الإنسان وذلك بالاعتماد على علم الأنسجة وعلم الوراثة؛ فعلى سبيل المثال، لقد اعتقد أن الإنسان أصله القرد، لكن هذه الفرضية أصبحت باطلة من خلال دراسة الهرمون لدى الإنسان والقرد، فتأكد علماء البيولوجيا أنهما لا يملكان نسبة الهرمون نفسها، فبالنسبة للإنسان يمثل الحامض النووي (ADN) 100 بالمائة أما بالنسبة للقرد فإنه يمثل 90 بالمائة. أما في ما يخص التنوع البيولوجي للإنسان فيتم ذلك عن طريق الكيمياء العضوية الخلوية من خلال علم المورفولوجيا (أي الشكل أو الهيئة الخارجية)، ومن خلال علم الفيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء)، ومن خلال علم الأمراض (الباتولوجيا) (pathologie) ومن خلال علم النفس. وهذا ما أدى إلى ظهور طرق وتقنيات عديدة استفاد منها علم الأنثروبولوجيا من خلال القياسات على سبيل المثال وروائز الذكاء، وهذا دائما بالاعتماد

على علم البيولوجيا الذي أفاد الأنثروبولوجيا كذلك من خلال ما يسمى بتحليل الدم، وهذا دليل آخر على استفادة الأنثروبولوجيا من علم البيولوجيا، لكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا هو: ما هي الطرق العملية التي يعتمدها الأنثروبولوجي من خلال استعانته بعلم الحياة أو الفيزيقا؟

- إن عالم الأنثروبولوجيا ينشغل ويهتم بتلك التغيرات المرتبطة بالمناخ والمواد الغذائية وعلاقتها بسعادة أو تدمير التجمعات البشرية: وينشغل الأنثروبولوجي كذلك بالممارسات الثقافية كالزواج المكرر والزواج بالأقارب والزواج بالأجانب. إضافة إلى ذلك يهتم الأنثروبولوجي في هذا المجال من البحث بأصول التجمعات البشرية؛ مثلاً أميركا هي خليط من الشعوب والأجناس، والجزائر كذلك خليط من القبائل والإثنيات مثل قبيلة بني هلال وبني سلامة الذين هاجروا من الجزيرة العربية بالإضافة الى الرومان، الأسبان، الأمازيغ، الوندال (شعوب هاجرت من أوروبا إلى المغرب العربي للغزو). ويهتم الأنثروبولوجي كذلك بالبحث في الاختلافات والتجانسات

الموجودة بين هذه الأجناس المختلفة، ويبحث كذلك في أصول العائلات، وبالتحديد العائلات الراقية التي لها نفوذ سياسي أو سلطة علمية وثقافية.

- لمزيد من المعرفة يجب الاستعانة بالكتب التالية:

- Do Bzhansky, *Anthropobiologie* ,puf 1969.

- Français Gresle, Michel. Panoff

- Michel Perrin, Pièrre Tripier, *Dictionnaire des sciences humaines. Anthropologie / Sociologie,* Nathan.1994

2 - الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية:

(Anthropologie socio-culturele)

إنه تحت تأثير" راد كليف براون" بالخصوص فإن الأنثروبولوجيا الاجتماعية حاولت أن تكون علم اجتماع مقارناً (Sociologie comparative) وتدخل ضمن مجالاتها الإثنولوجيا وعلم الاجتماع باعتبارهما مجالين معرفيين أساسيين ولهما خصوصيات دقيقة ومعينة في دراسة المجتمع والتطورات الحاصلة فيه، أما اليوم وبالخصوص في فرنسا، فإن الأنثروبولوجيا الاجتماعية والإثنولوجيا

أصبحتا مرادفين لإثنولوجية المدينة(*) وإثنولوجية الريف(**). وهكذا رفضت هذه الأنثروبولوجيا الاجتماعية تلك الفكرة القائلة إن موضوعها يهتم بالمجتمعات البدائية فقط، إلا أنه في بعض الجامعات الأميركية، هناك رفض لهذا التقسيم، مع التأكيد، من قبل هذه الجامعات على أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس المجتمع من خلال وظائفه الحيوية ومن خلال نزاعاته وصراعاته وتغيراته، وقد وضعت هذه الجامعات تمييزا كذلك بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مؤكدة على أن هذه الأخيرة تهتم خاصة بالأعمال الإبداعية وعلى رأسها الأعمال الفنية، وكذلك بالرموز، كالأساطير، الطقوس الدينية، التقسيم الطبقي والإيديولوجيات. أما " كلود لفي ستراوس" الفيلسوف الأنثروبولوجي الفرنسي المعاصر المشهور بالأنثروبولوجيا البنيوية، فقد رأى أن السلوكات الاجتماعية كممارسات الزواج (نظام الزواج) وبناء نظام الأسرة بالخصوص في المجتمعات غير المتحضرة كقبائل الهنود

(*) إثنولوجية المدينة - Ethnologie urbaine.

(**) إثنولوجية الريف - Ethnologie rurale.

الحمر في منطقة الأمازون ترتبط بالإنتاج الرمزي لهذه المجتمعات كاللغة، طرق التعبير، الرقص، الإبداعات الفنية، اللباس. ولهذا فلا فرق بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية؛ وقد سميت هذه الأنثروبولوجيا كذلك بالنزعة الثقافية (culturalisme).

إنها مرادفة بالتحديد للأنثروبولوجيا الثقافية، التي تأثرت بعلم النفس والتحليل النفسي من خلال دراستها للعلاقة الموجودة بين الثقافة والشخصية، نظراً لأنها انطلقت من فرضية أساسية هي أنه أثناء مرحلة الطفولة تتكون شخصية قاعدية هي تعبير مميز عن الثقافة التي نأملها ونرجوها. وهي التي ستشكّل ما يسمى لاحقا بالثقافة الإثنية أو الاجتماعية وفيما بعد بالثقافة الوطنية، ويصبح الفرد مطبوعا بطابع ثقافة مجتمعه، ومن أشهر أقطاب هذه النزعة التي سميت بالنزعة الثقافية وكذلك بالدراسات الثقافية والشخصية، هم "مرغريت ميد"، "بنديكت"، "رالف لينتون"، "كاردينار"، إلا أن هذه النزعة وقعت في سلبيات أثناء تصنيفها لمختلف الثقافات، وعلى رأس هذه السلبيات التمييز العنصري بين الثقافات،

فعلى سبيل المثال: قسمت "روث بنديكت" المجتمعات إلى نوعين: مجتمع أبولوني(*) يمتاز بالعقلانية والدقة والصرامة، ومجتمع ديونوزيوس(**): يمتاز باللهو واللعب والكسل واللامبالاة؛ فلقي هذا التقسيم شهرة كبيرة جعل من "بنديكت" معروفة على مستوى العالم، وفي الوقت نفسه لقي انتقادات عنيفة بالخصوص من طرف الأنثروبولوجيا الاجتماعية في كل من بريطانيا وفرنسا.

- إن النزعة الثقافية (Cultralisme) أصبحت فيما بعد تحمل معنى تحقيرياً وسلبياً وفي الكثير من الأحيان كانت تشير وتعبر عن الثقافة الأميركية لأن أصحاب هذه النظرية الذين ذكرناهم كلهم أميركيون، وقد انطلقوا في دراساتهم من المجتمع الأميركي بمختلف ثقافاته، علما أن هذا المجتمع كثرث فيه العنصرية لأنه خليط من الشعوب والأجناس والإثنيات، وعلى سبيل المثال التمييز العنصري

(*) أبولون: (Appolon) إله الدقة والصرامة والرياضيات عند الإغريق، وهو يرمز الى العقلانية.

(**) ديونوزيوس (Dionosyos): إله السّكر واللهو واللعب عند الإغريق وهو رمز اللامبالاة.

الذي جعل الزنوج يعيشون أفظع مراحل التاريخ، إذ قتل زعيمهم "مارتن - لوثر كينغ" في القرن العشرين.

3 - الأنثروبولوجيا اللغوية: (Anthropologie linguistique)

- بعد أعمال التطوريين أمثال: (سبنسر) الذي تأثر بالبيولوجيا التطورية لـ "شارل داروين" العالم البيولوجي الإنجليزي، اللذين بحثا في اللغات الأم(*)، واللغات الحية والميتة كاللاتينية، الإغريقية، السوريالية، القبطية، وبعد أعمال "فرديناند دي سوسير" و"جاكوب سون" اللذين مهدا للبنيوية، فإن الأنثروبولوجيا استفادت استفادة بالغة من هذه الدراسات والأعمال، وذلك من خلال البحث في تلك العلاقة الموجودة بين اللغة والثقافة في المجتمعات الشفاهية(**): إن هذه العلاقة الموجودة بين الثقافة واللغة قد تمّ التعبير عنها بمصطلح الإثنولغوية، ودورها يتمثل في الوصف والتحليل الشكلي والظاهري

(*) اللغات الأم: أي تلك اللغات التي كونت أصل اللغات الحالية.

(**) المجتمعات الشفاهية: هي ضد مجتمعات الكتابة كالمجتمعات التقليدية.

للغات التقليدية والمحلية(*) على مستوى علم الأصوات، وحتى على مستوى النحو.

وقد أكد " همبولت" و"سبير" أن كل لغة تعبر عن نظرة مجتمع ما وعن تصور خاص لهذا المجتمع الذي يتكلم أفراده بها، بمعنى أنها تعبر وتعكس ذهنيته وتحدد ثقافته وشخصيته. إن هذا التصور أظهر أنه ذو قيمة وأهمية في مجال أنثروبولوجيا وفلسفات اللغة، إلا أن النقد الذي يمكن أن نوجهه له هو أن اللغة قد تتغير، لكن التصورات والذهنيات والثقافات تبقى هي هي ثابتة، والعكس صحيح قد تتغير الذهنيات والتصورات والرؤى، وتبقى اللغة هي نفسها ثابتة، وبالتوازي لهذا التصور درس كل من العالمين الإنجليزيين "كوهين" و"مايليت" تلك العلاقات والتغيرات الموجودة في البنية اللغوية والاجتماعية والعلاقة في ما بينهما، كالعلاقات الموجودة بين المفردات وعلم الأصوات والمجتمع. مثلا في مدينة بلعباس الأخ ينعث

(*) اللغات المحلية: ما يسمى باللهجات (les dialectes). كالأمازيغية في الجزائر.

بـ"خيي" وفي تلمسان " خاي" وفي وهران " خويْ" وفي العاصمة" خو".

وقد وجدت كثيراً من الكلمات تعبر عن تاريخ التجمعات، لا تزال لحد الآن مستعملة، وقد وجدت في الكثير من اللغات كلمات أخذت من لغات أخرى على سبيل المثال في اللغة الفرنسية كلمة (Toubib) مأخوذة من الكلمة العربية "طبيب" وكلمة " chimie" مأخوذة من الكلمة العربية "كيمياء"، ويلعب المحيط دورا مهما في تغير معاني الكلمات ودلالاتها، فالأسكيمو في المحيط المتجمد الشمالي لديهم الكثير من الكلمات للتعبير عن حالات سقوط الثلج، وللعرب القدامى الكثير من الكلمات للتعبير على سبيل المثال على الأسد ككلمة "خضنفر"، "السبع"، "ملك الغابة"، إلخ...

أضف إلى ذلك أن لكل لغة رموزا خاصة بها، تعبر عن ثقافتها، وعلى سبيل المثال كلمة مسكن تعبر عن الجسد، إلخ....

لمزيد من المعلومات والمعرفة يجب الاستعانة بالكتب التالية:

- Austin, *Anthropologie linguistique,* Flammarion, 1976, p65.

4 - الأنثروبولوجيا التربوية: (Anthropologie éducative)

- يعرف هذا الفرع أو نعرفه كالتالي: "هو ذلك الفعل الذي نمارسه على الآخر لتنمية قدراته وملكاته العقلية والبدنية، ويعتبر " دوركايم" وبالضبط بين عام 1922 و1925 هو المؤسس للأنثروبولوجيا التربوية، إذ درس الأنظمة التربوية وأبرز: كيف يمكن للمجتمعات أن تتكيف من خلال هذه الأنظمة التربوية؟ وربط هذا التكيف الذي تقوم به الأنظمة التربوية بإشكالية تقسيم العمل الذي تمّ تقسيمه إلى قسمين:

- عمل ميكانيكي آلي متعلق بعمل الآلات.

- وعمل عضوي مرتبط بالجهد العضلي والطبيعي للإنسان العامل.

وابتداء من عام 1960 سنلاحظ ظهور توراث في مجال الأنثروبولوجيا التربوية وبالخصوص في فرنسا وبريطانيا اللتين ستركزان على دور التربية في المجتمعات

الصناعية المتقدمة؛ وسيواصل " دوركايم" تساؤلاته حول العلاقة الممكنة بين التعليم ومتطلبات المجتمع، وسيتساءل كذلك عن دور المدرسة في تقسيم الأفراد حسب قدراتهم داخل الفضاء الاجتماعي، وسيطور" الأنكلوساكسونيون" هذه التساؤلات، ويطرحون المشكلات نفسها، لكن بالإضافة الجديدة والتي كانت محل تركيزهم حول الفهم المتبادل والثقافة المشتركة بين المعلم والمتعلم. وقد اهتمت الأنثروبولوجيا التربوية كذلك بدراسة وتحليل محتويات العملية التعليمية (محتوى البرامج التعليمية) والبحث في الأسباب التي جعلت من هذه البرامج معتمدة في المنظومة التربوية الوطنية، وقامت كذلك بالبحث في الفروقات الموجودة بين التعليم العام والتعليم الخاص، والبحث في مختلف برامج الدول واهدافها الاجتماعية بالدرجة الأولى . وبحثت في هندسة القاعات وشكلها، وفي علاقة المدرسة بالمحيط.

- لمزيد من المعلومات والمعارف:

- Revue Française de l’anthropologie pédagogique, 1987,p19.

5 - علم الآثار أو الأركيولوجيا

- التعريف الاشتقاقي: بالفرنسية: (Archéologie) مشتقة من الكلمة الإغريقية (Archéologia) ومعناها ذلك العلم الذي يهتم بكل ما هو قديم"[1].

- التعريف الاصطلاحي: "علم يهتم بالأشياء القديمة، وبالخصوص الفنون والآثار القديمة"[2].

- التعريف الفلسفي: يعرفها الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو": "على أنها البحث في القطائع والانفصالات في التاريخ بواسطة منهج يعتمد على مجموعة من القواعد والمعطيات والخطابات الخاصة والمتميزة".[3]

- والآن نستعرض بدقة نص "فوكو" المأخوذ من كتابه الشهير "حفريات المعرفة": " إن الأركيولوجيا ما هي في الأكثر أو الأقل إلا إعادة الكتابة: في شكلها

---

(1) Russ Jacqueline, *Dictionnaire de philosophie*, bordas, 2004, p28.

(2) 2 - 3 Ibid, p28.

(3) Ibid, p28.

الخارجي إنها تغيير منظم لما كتب سابقا، إنها ليست العودة إلى سرّ الأصل بل بالعكس إنها وصف منظم، منهجي ومنسق لما يسمى الخطاب - الموضوع -»[1].

على سبيل المثال: إن لوحة الموناليزا تمثل موضوعا في علم الحفريات، وخطابها الاركيولوجي هو البحث في رموز الوجه وتقاسيمه، شكل الألوان وخصوصياتها ولماذا رسم "ليوناردو-دافنشي" بلون دون لون آخر؟ ولماذا جعل من الموناليزا مبتسمة وكئيبة في الوقت نفسه؟.

(1) Foucault Michel, *L'archéologie de savoir*, Gallinord, 1976, p182.

المبحث الثالث

علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس

مقدمة

تعتبر الأنثروبولوجيا من العلوم الإنسانية الأساسية لفهم منظومة المعارف والأشياء التي أبدعها الإنسان. ولكي تكون الأنثروبولوجيا صادقة وصحيحة في نتائجها فهي في حاجة إلزامية وضرورية للكثير من العلوم سواء أكانت طبيعية أو إنسانية، وعلى رأس هذه الأخيرة نجد علم النفس، من هنا، ولضرورة معرفية ومنهجية وجب أن نتساءل: ما هي جملة العلاقات والمقاربات الممكنة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس؟

قبل الخوض في الموضوع وتبيان هذه العلاقة وجب أن نعرف علم النفس كما عرفنا سابقا الأنثروبولوجيا، ومن هنا نتساءل: ما هو علم النفس وماذا يدرس؟

التعريف اللغوي والاشتقاقي: "بالفرنسية:

(psychologie) مشتقة من كلمة (psuché) معناها: الروح و(لوغوس): (logos) علم، وظهرت الكلمة مع نهاية القرن السادس عشر"[1].

التعريفات الاصطلاحية:

تعريف قديم: هو علم يدرس الروح"[2].

تعريف حديث: دراسة وضعية أو علم يهتم بالظواهر النفسية وقوانينها إلخ...، من خلال مناهج موضوعية، كالقياسات والروائز. (إختبارات قياس الذكاء)[3].

تعريف إجرائي: "هو مجموعة الصفات والسلوكات التي تحدد الشخصية لفرد ما أو جماعة على سبيل المثال: علم نفس النساء، علم نفس الاطفال".[4]

تعاريف الفلاسفة لعلم النفس:

تعريف فريديريك هيغل: يعرف هيغل علم النفس قائلا: "في نشاطه المستقل وفي داخله، وفي علاقته مع

(1 2 3 4) Russ Jacqueline, *Dictionnaire de philosophie*, Bordas, 2004, P340.

نفسه، وبدون الاعتماد في علاقته على شيء ما، فإن الفكر يخرج ويتمظهر في مصطلح يسمى علم النفس".[1]

تعريف "ديلاي " و"بشو" : - «Delay» «Pichot»:

"إن علم النفس الإنساني يدرس الإنسان من خلال سلوكاته وتصرفاته وحالات وعيه، ويبحث في وضع قوانين لهذه الظواهر، وتفسير أصلها ومصدرها من أجل التغيير فيها".[2]

وقد قسم علم النفس إلى ثلاثة أقسام:

- علم النفس الذي يركز على الشخصية بالدرجة الأولى، وهنا الشخصية تمتاز بالفردانية.

- علم النفس الذي يركز على الشخصية بالدرجة الثانية، وهنا على العكس الشخصية الأولى، فإذا كانت هذه الأخيرة تركز على الأنا فإن الشخصية الثانية تركز

---

(1) هيغل فريديريك: ظواهرية الروح، ترجمة عبد الإمام فتاح، 2001، دار الطليعة - لبنان - ص 90.

(2) Delay et Pichot, *Abrégé de psychologie*, MASSON, 1980, P10.

على الأنت أو الغير وهي شخصية اجتماعية منبسطة غير منطوية تميل للاتصال بالعالم الخارجي ولا تقدس مصلحتها الشخصية.

- علم النفس الذي يركز على الشخصية من الدرجة الثالثة، وهنا الشخصية تجرد الذات وتعتبر الظواهر النفسية موضوعات خارجية كالسلوك مثلا فتجرده وتعطيه مفهوما.

النزعة النفسانية: (psychologisme)

هذه النزعة تفسر كل ظواهر الحياة تفسيرا نفسيا، وتجعل الكثير من العلوم ترجع إلى الأصل النفسي في إبداعاتها وتكوين موضوعاتها، فعلى سبيل المثال ترتبط بفكرة الإيمان بالله في مجال الميتافيزيقا الحالات والأسباب النفسية، بمعنى: أنه هناك "أنا" فردية داخل الإبداعات العلمية. وهذا ما أكده العالم النفساني النمساوي سيغموند فرويد (Sigmund Freud) وإدموند - هوسرل في الفلسفة الألمانية، بأن أغلب الإبداعات العلمية ترجع إلى أسباب انفعالية ولاشعورية (ليوناردو - دافنشي: رسم الموناليزا وأبدع انطلاقاً من حالة نفسية هي

عشقه لزوجة صديقه الطبيب الايطالي، فلم يستطع أن يعبر بالكلام فلجأ إلى الإبداع من خلال الفن التشكيلي).

- الآن نعيد السؤال الذي طرحناه سابقا: ما علاقة الأنثروبولوجيا بعلم النفس؟

إن العلاقة بين الأنثروبولوجيا وعلم النفس تتجلى من خلال فرعين في علم النفس، هما التحليل النفسي، وعلم النفس الاجتماعي.

التحليل النفسي والأنثروبولوجيا:

(psychanalyse et anthropologie)

إن البحث في استعمال المعطيات الأنثروبولوجية في مجال التحليل النفسي قد بدأ مع فرويد بين عام (1912 و1913)، إذ أكد على أن الميول أثبتت أن الثقافة (ثقافة المجتمع) لها دور في تهذيب هذه الغرائز وضبطها، وقد أعطى مثالا على ذلك "الأب المتسلط" الذي قتله أبناؤه وأكلوا لحمه (طبعا كان ذلك في المجتمعات البدائية)، وأصبح ذلك طبيعيا في هذه المجتمعات، وبالخصوص في

المجتمعات الطوطمية، وفي ما بعد أصبح أصلا لما يسمى الطابو(*). (Le Tabou)

ولقد وضع سيغموند فرويد مقاربة توازي بين الطفل العصابي(**) والمتوحش(***).

(Un enfant névrotique a le même caractère qu'un enfant sauvage).

ووازى كذلك بين الأخلاق والمكبوتات وبين الطقوس والعصابية بمعنى: أن هذه المفاهيم تتوازى من حيث الشدة، مثال على الطقس (Rite): إن الفراعنة القدامى كانوا يقدمون أجمل الفتيات كقربان كل سنة للروح التي كانت تسكن نهر النيل في اعتقادهم الديني، حتى لا

(*) الطابو: مصطلح من مصطلحات سيغموند فرويد، وهي الأشياء التي لا يمكن التصريح بها أو القيام بها، لأنها غير مقبولة من طرف المجتمع، أي ضد أخلاقيات وأعراف هذه المجتمعات وتقاليدها.

(**) العصابي: في لحظة العصبية والغضب يتجرد من الثقافة والتربية العائلية والاجتماعية.

(***) المتوحش: الذي يعيش في الطبيعة بدون تربية ولا تعليم وهو طفل بدائي.

يفيض النهر غضبا ويتسبب في كارثة باعتبار أن هذا المجتمع كان يعتمد على الزراعة.

ويضيف فرويد كذلك قائلا: " إن المجتمع هو كائن اجتماعي يجب أن نعامله ككائن فردي". معنى ذلك: أنه بالرغم من أن المجتمع عبارة عن تجمعات بشرية إلا أنه في حقيقة الأمر هو مجموعة من الأفراد يتميزون ويختلفون في ما بينهم في الطباع، السلوك، طريقة التفكير وحتى في الأذواق، وهذا يعني أن الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة ماضي وتاريخ قيم التجمعات البشرية وربطها بالظواهر النفسية.

- في عام 1909، جاء العالم النفسي أبرهام (Abraham) ووضع توازياً آخر بين الحلم وبعض الأساطير، إذا وجد أن الكثير من مرضاه كانوا يحلمون بأساطير ماضية اطلعوا عليها أو حكيت لهم في مرحلة طفولتهم، كأسطورة أوديب، أو أسطورة النرجسية...الخ.

- وفي عام 1928 اعتبر كل من "رايك"، وهو عالم تحليل نفسي أميركي معاصر، و"روهايم" عالم نفسي أميركي معاصر، و"برونو - بتلهايم" عالم نفسي فرنسي معاصر أن أسطورة "أوديب" تحمل الكثير من الأسس

المفسرة لأصول الثقافات والحضارات وما تعيشه الآن هذه الثقافات، بمعنى: أن الظاهرة النفسية ظاهرة لها أصولها التاريخية، فأسطورة "أوديب" هي نموذج لذلك، فمن خلال هذه الأسطورة نكتشف الكثير من الدلالات النفسية منها الغيرة، الحرمان، الحنان، التهور، الانتقام، الكراهية، الحقد الخ...، هذه المظاهر لا تزال موجودة في عصرنا الحالي، وبالرغم من تغير الثقافات والأفكار واختلاف العصور والأزمنة، ثم يأتي مالنوفسكي عالم أنثروبولوجي بولوني معاصر من أشهر كتبه العلم والثقافة الذي طرح إشكالية مخالفة لإشكالية (رايك - روهالج - وبتلهايم) إذ يرى أن المجتمعات المعاصرة لا وجود فيها لعقدة أو أسطورة أوديب، بل بالعكس لأنّ الخال يلعب دور الأب في المجتمعات المعاصرة لكن في بعض الثقافات كالثقافة "البولونية" - هذا في بعض الحالات التي يغيب فيها الأب - .

- إن الأنثروبولوجيا النفسية وبالخصوص تلك الأنثروبولوجيا المرتبطة بالتحليل النفسي تتأسس من خلال دراستها للأحلام والأساطير وتحليل الألعاب والطقوس

(خاصة الطقوس السحرية) والعلاقات الموجودة بين أفراد العائلة وتقنيات التربية وطرقها، وقد تطور هذا المجال في الولايات المتحدة الأميركية على يد كاردينار الأنثروبولوجي المعاصر، الذي تأثر بأعمال التحليل النفسي في فرنسا بزعامة جاك لاكان إذ أمد هذا الأخير كاردينار بطرق ومناهج أصلية ومهمة في تحليل الثقافات تحليلا نفسيا.

علم النفس الاجتماعي وعلاقاته بالأنثروبولوجيا

- إن مصطلح علم النفس الاجتماعي وضع لأول مرة من قبل تارد (Tarde)، وهو عالم فرنسي مختص في علم النفس وعلم الاجتماع وكان ذلك (عام 1898) للإشارة إلى علم جديد يدرس ويفسر السلوكات والعلاقات بين الأفراد التي تعتبر أساسا للظواهر الاجتماعية، أما اليوم فهذا المجال قد تطور كثيرا وتوسع بشكل لا حدود له، بالخصوص عندما ارتبط بالأنثروبولوجيا، لهذا وجب أن نتساءل:

- ما هي العلاقة الموجودة بين علم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا؟

تتجلى هذه العلاقة من خلال دراسة تلك العلاقات الواقعية والخيالية الموجودة بين الأفراد والجماعات والمؤسسات في مجتمع ما.

وقد وضع علم النفس الاجتماعي في علاقته بالأنثروبولوجيا مجموعة من المتغيرات الرياضية لتكميم هذه العلاقات (كالإحصاء) انطلاقا من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد والقيم المفروضة عليه، وهي التي تؤثر على سلوكاته، ومن بين المتغيرات التي يريد الأفراد تحقيقها وبالخصوص في المجتمع الفرنسي على سبيل المثال: هي عمل مستقر، وصحة بيولوجية ونفسية الخ... بالإضافة إلى الأمن، الحرية، السلام، العدالة، والمساواة أمام القانون.

ونتيجة لتأثير الأنثروبولوجيا على علم النفس الاجتماعي، فإن علم النفس الاجتماعي اتجه أكثر فأكثر إلى الدراسة التجريبية والعملية في العصر الحالي، وذلك نتيجة تأثير المقاربات النظرية والمنهجية الأميركية التي تؤمن بالحقائق التجريبية.

ومن بين هذه الأبحاث والدراسات التي أصبح علم النفس الاجتماعي يبحث فيها في الوقت الحالي هي صيرورة الملكات الذهنية وعلاقاتها بوضعيات ووقائع التبادل الاجتماعي بين الأفراد (تأثير المؤسسات الاجتماعية والثقافية على تنمية وتطوير وتحسين القدرات الذهنية للأفراد، وتحفيز إبداعاتهم في شتى المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية).

- للمزيد من المعلومات يمكن الاطّلاع على الكتب التالية:

- Maurice Blondel, *culturalisme,* Flammarion, 1982, P:36.

- Moscovici, *Anthropologie et psychologie sociale,* Puf, 1984, P:63.

المبحث الرابع

علاقة الأنثروبولوجيا بعلوم التربية

(مرغريت ميد - روث بنيديكت)

Margaret, Mead - Benedict, Ruth, Fulton

مقدمة

إن الأنثروبولوجيا باعتبارها علماً يهتم بالإنسان، فمن المنطقي والبديهي أنها ستبحث في كل مجالات المعرفة الإنسانية لتفسير خصوصياتها وفهمها، قواعدها وأهدافها، وتعتبر العلوم التربوية من المعارف الجوهرية والأساسية في البحث الأنثروبولوجي من دون أن نهمل أن التربية كعلم تتضمن بدورها الكثير من القيم الأنثروبولوجية، ولكي تكتمل هذه الصورة وجب أن نتساءل: كيف اهتمت الأنثروبولوجيا بعلوم التربية؟ ومن هم أقطاب هذه الأنثروبولوجيا التربوية؟ وما هي اهتماماتهم في هذا المجال؟ وبتعبير آخر: ما هي الموضوعات التي بحثوا فيها؟ وكيف يمكن أن نبرهن على أن علوم التربية تحتوي على قيم انثروبولوجية؟ .

قبل أن ندخل في موضوع الأنثروبولوجيا وعلوم التربية، يجب أن نعرّف علم التربية وماذا يدرس؟

- **تعريف لغوي واشتقاقي**: "كلمة تربية مشتقة من اللاتينية (éducacio) وتعني عملية تعليم وبناء العقل (بناء معرفي للعقل)"[1]

- **تعريف اصطلاحي**: " كلمة تربية هي عملية أو صيرورة من خلالها تتم تنمية وتطوير الملكات العقلية والذهنية للإنسان، ويكون ذلك من خلال التكرار، التدرج (المعرفة من الجزء إلى الكل أو العكس)، والتمارين"[2].

تعريفات لعلوم التربية: الأول: "هي علوم تهتم بتنمية قدرات وملكات المتعلمين وخاصة الأطفال"[3].

الثاني: "هي نشاط يمارس على الآخر لتطوير إمكانياته، وقدراته سواء أكانت ذهنية أو جسدية مثلا: علوم التربية البدنية تنمي الجسد والعقل معاً"[4].

(1) (2) (3) (4) Gresle François, Panoff Michel, Perrin Michel, Tripier Pierre, *Dictionnaire des sciences humaines, Anthropologie / Sociologie*, Nathan, 1994, P: 105.

هذا، وبعد تعريفنا للتربية والعلوم التي تهتم بها وخاصة علم التربية الذي يشترك بدوره مع علوم كثيرة إذ لا يسع المجال هنا للتفصيل فيها وعلى رأسها علم النفس.

وعلى سبيل المثال يوجد تخصص في علم النفس يسمى علم نفس التربوي؛ وسوف نتناول الآن بالوصف والدراسة والتحليل الأنثروبولوجيا التربوية وموضوعاتها الأساسية، وفي الوقت نفسه تاريخها. (أي السياقات التاريخية التي ساهمت في وجودها).

الأنثروبولوجيا التربوية: (l'anthropologie de l'éducation)

في الفترة ما بين (1922 - 1925) قام إميل دوركايم بمحاولة تأسيس أنثروبولوجيا مشتقة من علم الاجتماع اهتمت بالتربية وذلك من خلال بحثه في الأنظمة التربوية التي تسمح لمجتمع ما في التكيف بسرعة، خاصة في مجال تقسيم العمل، أي ذلك الانتقال من العمل العضوي إلى العمل الميكانيكي أو الآلي، وهنا يكمن دور التربية في تأهيل المهارات حسب التخصصات واحتياجات

الاقتصاد لبلد ما، لكن يجب أن ننتظر بداية الستينيات (1960) لتظهر إنتاجات انثروبولوجية في مجال علوم التربية بالخصوص في فرنسا وبريطانيا لتبين وتبرز الدور الأساسي للتربية في المجتمعات الصناعية، وهكذا تمّ تطوير اهتمامات دوركايم من خلال الربط أو إيجاد العلاقة بين نظام التعليم والمجتمع.

أما في الدول الأنكلوساكسونية، وعلى رأسها بريطانيا وأميركا، فكان الاهتمام منصبّاً حول ثقافة المتعلمين والعلاقة الالتفافية الموجودة بين المعلم والمتعلم، وبعد ذلك تطورت هذه الأنثروبولوجيا لتبحث في محتويات البرامج التعليمية والبحث في الأسباب التي تجعل من هذه البرامج معتمدة، وفى الفرق بين التعليم الذي تراقبه الدولة وتعليم المدارس الحرة، بالإضافة إلى البحث في العلاقة الموجودة بين المدرسة والمحيط.

وبعد هذه اللمحة التاريخية حول الأنثروبولوجيا التربوية أو بالأحرى علاقة الأنثروبولوجيا بعلوم التربية، يجب أن نختار لذلك شخصيات ونماذج يتجلى عندها بشكل واضح وجلي هذا المجال أو هذا النشاط من الأنثروبولوجيا (انثروبولوجيا علوم التربية) ومن أشهر هذه

النماذج نجد الأنثروبولوجية الأميركية (مرغريت ميد)، (Margaret Mead) (1901 - 1978) التي تعتبر من أشهر الأنثروبولوجيين والإثنولوجيين الأميركيين والعالميين، ولقد أثرت أبحاثها كثيرا على مجتمعات زمانها، وكان لها قراء في كل أنحاء العالم وقد حصلت على شهادة دكتوراه من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأميركية، ويعتبر كل من بووا (Boas) وبنيديكت الأكثر تأثيرا عليها من خلال أبحاثها وهما اللذان ساهما كذلك في نضجها الثقافي والفكري. من عام (1929 إلى عام 1969) شغلت منصب مديرة المتحف الأميركي للتاريخ الطبيعي وبالضبط في مدينة نيويورك، ثم درست في جامعة كولومبيا ابتداء من عام 1954.

لقد قامت بدراسات وأبحاث ميدانية كثيرة بالخصوص في مجتمعات الهنود الحمر، ومن هذه الأبحاث دراستها لقبيلة ساموا، لكن هذا البحث كان فاشلا، وذلك لأنه كان سريعا وغير مركز وقد قامت به سنة 1925 بالضبط ثم عادت إلى الميدان، حيث قامت بدراسات ميدانية عند قبائل المانوس (Manus) وقبائل الأرَباش (Arapesh) وقبائل الموندوقمور (Mundugumor) وقبائل التشامبولى

(Tchambuli) وقبائل الياثمول (Iatmul) في غينيا الجديدة بأفريقيا. ثم قامت بدارسات ببَالي في بلاد الهند بآسيا مع زوجها (جورج باتيسون)، وبعد ذلك عادت لتقوم بدراسات على الهنود الحمر الولايات المتحدة الأميركية.

تعتبر مرغريت ميد هي الأولى التي قامت بأبحاث حول عملية اجتماعية الطفل وكان ذلك عام 1928 ثم قامت بأبحاث أخرى تعتبر هي الأولى من نوعها تتمثل في العلاقة بين الجنسين أي بين الذكر والأنثى وكان ذلك عام 1935 في مختلف الثقافات، ولقد نشّطت مرغريت ميد كثيرا من الأبحاث التي شملت العديد من المجالات المعرفية كعلم النفس، علم الاجتماع، الأثنوغرافيا، الأنثروبولوجيا داخل المجتمعات الحديثة في بلادها، والجديد الذي أتت به في مجال البحث هو إدخالها لوسائل وتقنيات جديدة كالتصوير الفوتوغرافى، الوثائق والأفلام السينمائية، التسجيلات الصوتية، الروائز النفسية (كروائز الذكاء والذاكرة). وقد دعت في الكثير من أبحاثها وأعمالها ومحاضراتها إلى تطبيق المعرفة الأنثروبولوجية

لحل الكثير من المشاكل اليومية كالطلاق، الانتحار، الفشل الدراسي، إدخال التربية التاريخية والروحية في برنامج تدريس التلاميذ حتى لا ينسوا هويتهم الأميركية وأصولهم التاريخية التي تعود إلى الهنود الحمر، وهذا ما يعطيهم اعتزازًا وثقةً بالنفس، وشخصية معنوية وكان هذا عملاً مشتركاً مع الأنثروبولوجي الأميركي بالدوين (Baldwin) وكان ذلك في الأعوام 1948، 1964، 1971.

ولقد دعت إلى الاهتمام بالطبيعة كعنصر هام في العملية التربوية لدى المتعلمين (كالاهتمام بالبيئة، النظافة، التشجير، محاربة التلوث، البستنة والاهتمام بالحدائق والمساحات الخضراء)، كما عارضت بشدة مع الكثير من المنظمات والجمعيات الأميركية حرب بلادها على دول أخرى كالحرب على الفيتنام في آسيا.

ولقد انتخبت خبيرة من طرف بلادها في مجال البحث الأنثروبولوجي والاجتماعي؛ باختصار فان "مرغريت ميد" تنتمي إلى تلك النزعة الثقافية التي كان ينتمي إليها أغلب

الأنثروبولوجيين الأميركيين، هذه المدرسة التي كانت تركز على العلاقة الجدلية الموجودة بين الثقافة والشخصية.

بالإضافة إلى "مرغريت ميد" سنجد عالمة في الأتروبولوجيا والإثنولوجيا وهي بنيدكت روث فولتون (Benedict Ruth Fulton) (1887 - 1948). وبالإضافة إلى اهتمامها بهذا العلم فقد كانت شاعرة معروفة في الولايات المتحدة الأميركية، ولقد كانت كذلك من بين الزعماء والأقطاب الأوائل للنزعة الثقافية (Le Culturalisme)، إذ درست مختلف السلوكات في مختلف الثقافات، كما درست مختلف هذه السلوكات من أبسطها إلى أعقدها وطبقتها في المجال التربوي واستعانت بالدراسات النفسية في ذلك، وطبقت الكثير من المفاهيم المعروفة والموجودة في علم النفس والفلسفة وعلم الأساطير (Mythologie) مثل أسطورة أبولون (Apollon) إله العقل، الدقة والصرامة عند الإغريق وديونوزيوس (Dionosyos) إله اللهو واللعب والخمرة أو السكرة ومرض العظمة وادعاء القوة كهتلر الذي كان مريضا بهذه العقدة، فكانت نتيجة ذلك انتحاره جرّاء الانفصامية أو ازدواج الشخصية (الشيزوفرينيا).

ولقد قامت بدراسة العناصر البنائية التي تركب ثقافة أو مجتمعاً ما، ودرست مواقف وسلوكات أفراد هذه الثقافات أو المجتمعات من خلال العادات، التقاليد والأخلاق، وهذا ما يدل على أصالة وانسجام هذه الثقافة لدى الأفراد أو عدم انسجامهم معها؛ وحتى بين ثقافة وأخرى يمكن أن يكون هناك انسجام أو العكس.

وقد قامت بأعمال وأبحاث ميدانية على هنود الجبال في أميركا وقبيلة بويبلو (Pueblo) ومعناها: القرية أو الريف وضدها المدينة. وقبيلة زوني (Zuni) (1935).

وقد قامت كذلك بأبحاث ميدانية بين أوساط المغتربين في أميركا (مدى انسجام أبناء المغتربين أو العكس مع برامج التعليم والتربية نتيجة اختلاف الثقافات)، وحاولت تطبيق أبحاثها الأنثروبولوجية على المجتمعات الصناعية؛ وكذلك درست كذلك الثقافة اليابانية وخصائصها، ولقد كانت تلميذة للأنثروبولوجي الكبير كروبر (Kroeber)، وكانت مساعدة لعالم الأنثروبولوجيا الأميركي الكبير بووا، واشتغلت كمشاركة لسابير (Sapir) في أعماله وأبحاثه المتعلقة بعلم اللغة واللسانيات، وقد درست بجامعة كولومبيا في مدينة نيويورك بأميركا .

هذا، وككل أقطاب النزعة الثقافية تؤكد روث بنديكت على علاقة الشخصية بالثقافة فكلاهما يؤثر على الآخر.

للمزيد من المعارف والمعلومات: يمكن الاطّلاع على الكتب التالية:

- François Gresle, Michel Panoff, Michel, Pérrin, Pierre Tripier, *Dictionnaire des sciences humaines. Anthropologie / Sociologie,* Nathan, 1994, P: 105. - - > pour le mot: Eduction.

- Revue française de pédagogie, 1987, P:71.

- Margaret, Mead 1/ *La relation entre les deux sexes,* Puf, 1987, P:31. 2/ *La socialisation de l'enfant,* Puf, 1990, P:22.

- Ruth Benedict, *L'anthropologie dans les sociétés industielles,* Puf, 1983, P:22.

الفصل الثاني

النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا، علاقتها بمنهجية البحث الميداني أو (الحقلي)، مسألة التغير الثقافي وعوامله وأهم المقاربات بين الانثروبولوجيا والاثنولوجيا

المبحث الأول: النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا

المبحث الثاني: علاقة النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا بمنهجية البحث الميداني أو (الحقلي)

المبحث الثالث: مسألة التغير الثقافي وعوامله

المبحث الرابع: أهم المقاربات بين الانثروبولوجيا والاثنولوجيا

المبحث الأول

النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا

مقدمة

هناك نظريات كثيرة في الأنثروبولوجيا نظرت إلى مختلف جوانب حياة الإنسان، سواء أكانت ثقافية، سياسية، اجتماعية، اقتصادية جمالية أو فنية إلخ ...، ولكل منها رؤيتها وموقفها ومنهجها وتفسيرها لهذه الجوانب والمجالات، هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن هذه النظريات تدل على حيوية وفاعلية البحث الأنثروبولوجي، وعلى أنه بحث متواصل ومستمر يتكيف مع التغيرات ويبدع حولها تنظيرات ومفاهيم ومناهج.

- إن هذه النظريات لا حد لها ولا حصر لكن بحثنا اليوم سيقتصر على أربع نظريات هي: النظرية التطورية، الوظيفية والبنائية الوظيفية، البنيوية والانتشارية.. ومن هنا

وجب أن نتساءل: ما هو مضمون هذه النظريات؟ وبتعبير آخر: ما هي طبيعتها؟ من هم أقطابها؟ وما هي قواعدها وميكانزماتها؟

ما هي مجالاتها الحيوية؟ وما هي غاياتها وأبعادها؟ وبماذا أفادت البحث الأنثروبولوجي بشكل خاص، والعلوم الإنسانية بشكل عام؟

- وبعد هذه التساؤلات سنقوم الآن بشرح مفصل لمجموع النظريات التي ذكرناها أعلاه ومن خلالها ستتم الإجابة عن هذه المجموعة من التساؤلات.

- أول هذه النظريات هي:

1- النظرية التطورية

ويتزعمها ثلاثة أقطاب هم كالتالي: (تيلور إدوارد برنت - مورغان هنري لويس، فريزر جيمس)، هذا وإضافة إلى العالم والأنثروبولوجي تايلور كقطب من أقطاب هذه النظرية، وقبل الشروع في تحليل نظرية تيلور إدوارد برنت التطورية سنقوم بتعريف هذه النظرية.

تعريف النظرية التطورية(*) : (L'évolutionisme)

- هذه النظرية أو بالأحرى هذه التسمية، ارتبطت بعلم البيولوجيا عند "شارل داروين" الإنجليزي، و"لامارك" الفرنسي، في القرن التاسع عشر، ولقد أثرت في الكثير من العلوم الإنسانية كالفلسفة والإثنولوجيا. وهذه النظرية تنطلق من فكرة أساسية وهي أن المجتمع يشبه العضوية الحية (الجسم الحي) دون أن تهمل هذه النظرية التطورات التي تحدث للمجتمع، وهي بذلك تشبه تطور الجسم الحي. وتضيف هذه النظرية أنه حتى الصفات المعنوية مثل: الثقافة والتقاليد، العادات والأعراف ثورت كما ثورت الصفات البيولوجية، وهذا ما يساعد هذه النظرية في تحسين تقنيات تنظيم المجتمعات من خلال مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية ويعتبر مورغان (Morgan) بأنه أول من قسم المجتمعات تقسيما ينطلق من النظرية التطورية إلى ثلاث مراحل هي: مرحلة التوحش، المرحلة البربرية ثم مرحلة الحضارة.

وبعد هذا العرض الموجز للنظرية التطورية

(*) كلمة تطورية(*): مأخوذة من المرجع نفسه أعلاه ص 127.

وموضوعاتها سنبحث الآن في أهم منظّري هذه النظرية ونبدأ بالعالم:

1- تيلور إدوارد برنت (Tylor Edward Burnett) 1832 - 1917:

أنثروبولوجي وبريطاني عصامي لم يتلقّ دراسته في الجامعة، وقد سيطرت أعماله ونالت شهرة كبيرة في القرن التاسع عشر إضافة إلى أعمال مورغان.

وهو ينتمي إلى النظرية التطورية، وقد اهتم من خلالها بعلم الثقافة والانتشارية[*]، وذلك عام 1871، وكانت أفكاره ونظريته في مجال الأسرة جد متطورة. واستعمل في ذلك الإحصاء وذلك لربط مختلف تسلسلات العائلة وتفرعاتها في الأسرة الواحدة التي تشبه الخلية في الجسم الحي وترابطها وتسلسلها مع تاريخها العائلي يكون هنا نسيجا أو عضوية حية.

(*) الانتشارية: هي نظرية انتقدت بشدة النظرية التطورية وموضوعاتها هي: لكي نفهم خصائص مجتمع ما يجب أن نبحث في تاريخه الثقافي.

ولقد اتهم كذلك بالأنثروبولوجية الدينية،حيث يعتبر أحد روادها؟، ومن بين الموضوعات التي شغلته في هذا المجال: إشكالية الخلود أو مصير الإنسان بعد الموت .

مراحل تطور الدين وبالخصوص الدين المسيحي وكذلك درس النزعة الحيوية(*) (L'Animisme) وبالترجمة الحرفية الأنيمية، وقد كانت أبحاثه في مجال الديانات التوحيدية، ذات قيمة عالية ورفيعة، ولا تزال معتمدة إلى حد الآن.

ولقد رفض منهجية المقارنة في البحث الأنثروبولوجي بخلاف "مورغان" وسافر كثيرا خاصة إلى المكسيك،وقام بأبحاث كثيرة حول هنود البويبلو: (Pueblo) وبالإسبانية:معناها: "قرية" ودرس في جامعة أوكسفورد في بريطانيا عام 1884.

2- مورغان هنري-لويس (Morgan Henry-Lewis) (1881 - 1818):

أنثروبولوجي أميركي معاصر.

(*) النزعة الحيوية: تتصور أن عالم الأشياء أو الطبيعة تسكنه أرواح.

وبخلاف معاصرية الذين اشتغلوا على المجتمعات البدائية فان مورغان باعتباره رجل أعمال أميركياً قام بالعمل الميداني وبزيارات للشعوب التى تكلم عنها كثيراً، وأشهر هذه الشعوب هنود الاروكوا(*) (les indiens). وقد توصل الى النتائج العملية التالية من خلال أبحاثه حول هذه الشعوب.

- إن تأملاته النظرية لا تزال محل نقاش إلى حد الآن.

- لقد توصل الى مجموعة من الحقائق لا تزال معتمدة كمرجع أساسي لدى المختصين في الأنثروبولوجيا.

س: كيف ذلك؟

ج: إن نظرياته اعتمدت على النظرية التطورية، حيث

(*) هنود الاروكوا: مجتمع كان يعيش بالقرب من نهر سانت لوران في أميركا -وذلك بمجيء الأوروبيين الى أميركا الذين وجدوه هناك. وكان هذا المجتمع يمثل أقوى تجمع للهنود في أميركا لامتلاكهم قوة عسكرية ولغتهم تسمى "الاروكوا" وكان نشاطهم الزراعة والصيد مأخوذاً من *le dictionnaire des Sciences Huamaines* ص 187.

ادعى في نظريته إنه يعيد بناء تاريخ العائلة الملكية،الأخلاق والدولة وذلك انطلاقاً من مختلف أعمار الإنسانية، ولقد اعتمد في إعادة بناءه هذه على ثلاث مراحل أساسية وهي: (مرحلة التوحش،البربرية، والحضارة). ولقد شبه "مورغان" عمر الإنسانية بعمر الكائنات الحية (الإنسان)، فقد يصل هذا الأخير إلى ستين سنة أو سبعين سنة أو إلى ما فوق، ولقد لقي هذا التقسيم شهرة كبيرة.

- فما هي الوسائل التي اعتمدها في هذا التقسيم؟
لقد اعتمد "مورغان" على (فنون البقاء) أي على الأدوات التي تمّ استعمالها (المجتمعات) والتقنيات التي اعتمدوا عليها من أجل التطور والبقاء،وهذا شبيه بمفهوم البناء للأقوى والإصلاح (لشارل داروين) في النظرية التطورية. وتوصل كذلك إلى أن التطور في الأدوات أدى إلى تطور القيم. وهذه الوسائل والأدوات تتجلى في أدوات الزراعة والصيد،ولقد اعتمد في دراسته هذه على قبيلة واحدة هي قبيلة "إروكوا" ، وربط أدوات البقاء بتاريخ تكون هذه القبيلة أي منذ أصلها الأول،وبعد ذلك أسقط ذلك على تاريخ الحضارة الإنسانية في تقسيمه لتطور الإنسانية، أي

أنه أخذ هذه القبيلة كنموذج. ولقد وجهت إليه انتقادات حديثة وبالخصوص من طرف الماركسيين وعلى رأسهم تيراي (Terray) عام (1996) إذ رأى هذا العالم أن هذه الحقائق التي توصل إليها (مورغان) هي صحيحة في ذهنه فقط، فالإنسانية لم تمر حسب "تيراي" بهذه المراحل وليس هناك دليل يثبت حقيقتها أو يقوم بدحضها (بمعنى أنها ليست صحيحة). أما النظرية الماركسية مع "ماركس" و"إنجلز" فترى عكس ما توصل إليه "مورغان" أي أن المجتمعات بدأت بالمشاعية ثم العبودية ثم الإقطاعية ثم الرأسمالية ثم الاشتراكية كمرحلة انتقالية إلى الشيوعية التي تعتبر في تصورهما صورة مطابقة للمشاعية الأولى، وذلك من خلال دراستهما للمدينة الإغريقية القديمة ثم مرورا بأستراليا ووصولاً إلى بريطانيا. أما الماركسيون الرسميون ومؤسسات إنتاج العلم في روسيا فكانت ترى العكس، إذ اعتبرت "مورغان" من بين الآباء الروحيين للعلم الجديد، بمعنى أن ما توصل إليه كان صحيحا،لكن الشيء الإيجابي في نظرية "مورغان" هو أنه قام بدراسة عميقة لنظم العائلات وبنياتها وكيف تطورت عبر التاريخ.

3- جيمس فريزر (James George Frazer)
(1854 - 1941):

مختص أسكوتلاندي في الآداب والحضارات القديمة، تحول إلى مجال البحث الأنثروبولوجي بتأثير من (تيلور إدوارد برنت) الأنثروبولوجي الإنجليزي المعاصر (Tylor) وبعدما كان مولعا بالطوطمية أو (النزعة الطوطمية) اتجه فيما بعد إلى البحث في تطوير أبحاثه في مجال الديانات (الأساطير - الألوهية -الإيمان - الخلود والأضحية والقرابين).

وقد كتب أعماله في (12) مجلدا بين (1890 و1915) وقد امتازت شخصيته بالقوة والسلطة وهذا ما جعله معروفا على مستوى العالم وتميزت أبحاثه بالأصالة لسببين:

1 - لقد كانت أبحاثه تركيبا بين مجالات انسانية ومعرفية كثيرة منها:

الفلسفة الإغريقية واللاتينية، الإنجيل،الفكر المسيحي والفولكلور الأوروبي بالإضافة إلى الوسائل الإثنوغرافية (التعرف على الحضارات من خلال الكتابة).

2 - لقد كان في علاقة وثيقة وبصلة دائمة مع البحث الميداني وذلك لمساعدة مجموعة من الأساتذة المحترفين والهواة، وكان لا يتوقف عن طرح الأسئلة وعملية البحث فيها، إلا أن الانتقادات التي يمكن أن توجه إليه، تتمثل في هشاشة الكثير من استنتاجاته والسذاجة في نظريته التطورية، وبعدما كان أسلوبه الأدبي قد قلل من أهمية أعماله أثناء حياته، فإنه سيعطيه شهرة كبيرة وواسعة بعد وفاته،واليوم تستفيد منه الأبحاث الأنثروبولوجية وحتى الأنثروبولوجيين، ولكن تبقى قيمته المعروفية في أنه طور البحث الميداني، ومما زاد هذا البحث قيمة كذلك هو أسفاره الكثيرة والعديدة إلى مختلف أنحاء العالم، وقد درس في جامعة قلاسقاو وجامعة كمبريدج في بريطانيا.

4- تايلور (Tylor): وتسمى هذه النظرية كذلك بالتايلورية والفوردية(*)

- ما هي التايلورية؟

(*) الفوردية: (Fordisme) رأسمالي ومدير مصنع سيارات في أميركا من نوع فورد، واسم فورد نسبة إلى ابنته هذا مأخوذ من

François Gresle, *Dictionnaire des Sciences Humaines Anthropologie/Sociologie*. P.370.

هي شكل منظم للعمل وضعه تايلور عام 1903 يعتمد على التفريق بين الواجبات الخاصة بالعمل وتنفيذها أو بين التصورات النظرية للعمل وطرق تنفيذها (أي البحث عن التطابق بين النظرية والتطبيق في ميدان العمل). وهكذا بدأ العامل يكسب مهارات ليس عن طريق الخبرة وحدها وإنما عن طريق تعليمه وتدريبه بطرق علمية وتقنية فاكتسب طرقا ومناهج للزيادة من الإنتاج بأقل جهد عضلي. وعلى هذا الأساس، تمّ اختزال وتبسيط الكثير من العادات الجسدية المرهقة مما قلّل من مشقة العمل وقلص من مدته فأصبح العامل يقوم بواجبه المهني والوظيفي بسرعة. ولتحفيز العامل على محبة العمل أدخل تايلور فكرة الربح وذلك من خلال الزيادة في الأجور بحسب المردودية والدقة والإبداع والثقافي في العمل، كما أدخل فكرة العمل المتسلسل وهي محاولة خلق نوع من الانسجام بين مختلف جزئيات العمل أو تخصصاته لتحقيق الغاية الكلية من الإنتاج، وهذا شبيه بالتركيبة البيولوجية للجسم الحي التي تشكل في ما بينها عضوية متناسقة ومنسجمة لتحقيق الغاية الأساسية والكلية وهي التوازن البيولوجي؛ وإن هذا التنظيم العلمي للعمل يرتبط كذلك عند تايلور بالإنتاج

وهذا ما ساعد على تطور ظاهرة الاستهلاك بالدرجة الأولى عندما يثمن العمل بأجر عال نسبيا والعكس صحيح. هذا وتسمى النظرية التطورية لتايلور في مجال العمل بنظرية تنظيم العمل.

للمزيد من المعلومات: بالإمكان الاطلاع على الكتب التالية:

- Tylor, *la notion de culture,* Puf, 1976, p:84.
- Morgan, *l'histoire de la famille,* puf, 1980, P:77.
- Frazer, *l'anthropologie des religions,* puf, 1983, P:31.

2 - النظرية الوظيفية والبنائية الوظيفية

1 - تعريف النظرية الوظيفية: (Le Fonctionnalisme)

وهي تصور الظواهر الإنسانية تصويراً نسقياً وظيفياً، وتوجد عدة نظريات وظيفية أشهرها نظرية "مالينوفيسكي برانسلو" الذي يؤكد من خلال نظريته الوظيفية ويركز على جانب تكيف المجتمع مع محيطه، أي أن الظواهر الاجتماعية الجزئية تؤدي وظائف جزئية معينة في إطار

نسق من الظواهر لتؤسس أو تبني وظيفة كلية وهي تكيف المجتمع مع محيطه؛ فالمؤسسات الاجتماعية كالمدرسة أو الجامعة تؤدي وظيفة جزئية وهي التربية والتعليم، وهذه الوظيفة تتكامل مع وظائف أخرى لتحقيق الوظيفة الكلية وهي تكيف المجتمع مع المحيط.

- فمثلا: انتقال المجتمع من النشاط الزراعي إلى التصنيع أحدث تغيرات في البيئة على مستوى القيم الاقتصادية، الأخلاقية والموروثات، وبعدما كان المجتمع تقليديا في ثقافته أصبح من الضروري أن يتكيف مع الأوضاع الجديدة المحيطة، باعتبار أن التصنيع رمز من رموز التحديث والحداثة، والتحديث هو ضد الموروث أو التقاليد، فهنا الغاية أو الوظيفة الكلية: هي تكيف المجتمع مع المحيط ومتغيراته الجديدة.

- وبالإضافة إلى مالينوفيسكي هناك شخصيات أخرى من بينها: راد كليف براون، وباريتو العالم الأنثروبولوجي الإيطالي، كذلك ألتوسير الفرنسي وبورديو.

2 - النظرية الوظيفية عند مالينوفسكي:

(Malinowski Bronislaw Kaspar)

:(1942 - 1884)

عالم أنثروبولوجي بولوني بعد قيامه بدراسة علمية في مدينة كراكوفيا ببولونيا، توجه إلى مدينة ليبزيغ بألمانيا حيث درس علم النفس مع الأستاذ وعالم النفس الكبير وونـدت (Wundt) ودرس علـم الاقتـصـاد مـع بـوتـشـغ (Bucher) وهاجر بعدها إلى بريطانيا ليتتلمذ على يد العالم الأنثروبولوجي البريطاني فيستر مارك (Wester - Marck) وقام ببحثين ميدانيين في غينيا الجديدة، وبالضبط على قبيلة مالو (Milu)، وفيما بعد قام بأبحاث سريعة وميدانية بإفريقيا والمكسيك، وأصبح أستاذا له نفوذ وتأثير كبير في جامعة ـ لندن ـ وفي جامعة ـ يال ـ بالولايات المتحدة الأميركية وقد اعتبر "مالينوفيسكي" من أكبر مؤسسي الأنثروبولوجيا العلمية، وذلك من خلال الثورة التي قام بها في مجال البحث الميداني والتطبيقي، فمعه أصبح الميدان بمثابة مخبر تتجلى من خلاله الحياة الاجتماعية للتجمعات المدروسة.

وقد استعمل في ذلك نظام السؤال أو ما يسمى بالفرنسية: (Le Questionnaire) لتكون نتائجه أكثر علمية.

فبالنسبة إليه الباحث الحقيقي هو الذي ينطلق في عمله من خلال معطيات الواقع ليطور بعد ذلك من موهبته في الإبداع من خلال الملاحظة.

- وفي تاريخ الأنثروبولوجيا يدرج "مالينوفيسكي" بمثابة اللسان الناطق للنظرية الوظيفية التي لم تكن منسجمة كثيراً، ليقع بعد ذلك في الدوغمائية والكليانية، ويعتبر مالينوفيسكي كذلك من الشخصيات الأولى في الأنثروبولوجيا الاقتصادية.

للمزيد من المعلومات يمكن مراجعة كتاب:

Malinowski - Bronislaw Kaspar, *Une Theorie Scientifique de la Culture,* Flammarion, 1982.

3 - النظرية الوظيفية عند راد كليف براون:

(Radcliffe Brown Alfred Reginald)

:(1955 - 1881)

أنثروبولوجي بريطاني، والأكثر مفارقة في عصره لأنه كان يسافر كثيرا وكان بعيدا في عمله عن زملائه، وبقي يعمل في مجاله إلى آخر لحظة من حياته. كان تلميذا لـ: ريفرس (Rivers)، طبيب وعالم نفس وأنثروبولوجي

إنجليزي معاصر، ويعتبر أول أنثروبولوجي في بلده كان تعليمه الأنثروبولوجي وتكوينه في هذا المجال كاملا باعتبار أن كل زملائه وسابقيه في هذا المجال جاءوا إلى الأنثروبولوجيا من دون تعلم متخصص، ولقد قام بأبحاث ميدانية في جزر أندمان (Andaman) بين عامي 1906 و1908. وقام بأبحاث ميدانية كذلك على السكان الأصليين(*) في أستراليا بين عامي 1910 و1911 إلا أن هذا العمل لم يكن دقيقا وامتاز بالسطحية، وقد تأثر فيما بعد بـ"دوركايم" وبقي مخلصا لمدرسته الاجتماعية وهذا ما جعله انطلاقاً من المدرسة الدوركايمية أن يعمق من أبحاثه حول الطوطمية (Le Totémisme) وحول المشكلات الأبوية وهذا ما كان يتناقض مع اهتمامات أستاذه ريفرس (Rivers)، فلماذا هذا التناقض؟.

- إن "دوركايم" يقترب في أبحاثه الاجتماعية من المدرسة البنيوية والكثير يدخله ضمن هذه المدرسة، وهذا ما يتناقض مع المدرسة الوظيفية التي يعتبر براون وريفرس واحداً من زعمائها، وإذا كان "ليفي ستراوس" يرى أن

(*) السكان الأصليون في أستراليا يسمون بالأبورجيين (Les Aborigènes).

البنية الاجتماعية مجردة (غير واقعية) فإن راد كليف براون على العكس من ذلك يرى أنها متضمنة تضمنا واقعيا في الحياة الواقعية من خلال العلاقات بين الأفراد وعلاقات الأفراد بالمؤسسات، وأن تدريسه للأنثروبولوجيا جعله وجها كبيرا من وجوه الأنثروبولوجيا العالمية.

4 - النظرية الانتشارية: (Le Déffusionnisme)

نظرية ولدت من خلال انتقادها للنظرية التطورية ومن هنا نتساءل: ما هو موضوعها؟ إن هذه النظرية تؤكد على دراسة التاريخ الثقافي لمجتمع ما من أجل فهم خصائصه الحالية ومن بين زعمائها "ابن خلدون" "أليوث سميث" و"فرانس بواس" ومن هنا سنحاول أن نتتبع بالدراسة والتحليل الموضوعات التي تناولها هؤلاء ونبدأ بـ"فرانس بواس".

1 - فرانس بواس: (Boas Franz)
(1885 - 1942):

أصله ألماني لكنه ذو جنسية أميركية. كان تكوينه المعرفي هو الرياضيات، الفيزياء والجغرافيا، ويعتبر "بواس" باحث ميدان من الطراز الأعلى، إذا كان يمتاز

بالدقة العلمية وأول أعماله كانت على سكان "الإسكيمو" قبل أن يختص في دراسة "كولومبيا" البريطانية أو ما يسمى حاليا بكندا إذ قام بانتقاء الكثير من الروايات والحكايات بالخصوص عند قبيلة كواكيوتل (Kwakiutl) بكندا وقبيلة شينوك (Chinook) بكندا وقبيلة تسيمشيان بكندا، ولكي يطور من أبحاثه ويعمقها استعان ببعض العناصر من سكان هذه القبائل كمخبرين له (بمعنى يزودونه بالمعلومات الكثيرة) وأشهرهم المخبر (جورج هونت) من قبيلة كوكيتيول. وبالرغم من أن الكثير من الأعمال النظرية ترتبط باسمه، إلا أنه يبقى الأب الحقيقي للأنثروبولوجيا، ولقد تنوعت مجالات الأنثروبولوجيا لديه وأشهرها أنثروبولوجيا البيولوجيا، أنثروبولوجيا اللسانيات، أنثروبولوجيا الأساطير، وأنثروبولوجيا الفن، وتتلخص نظريته بما يلي: يرى "بواس" أن الوسط ونوع الحياة يلعب دورا أساسيا في نمو الأطفال وبالخصوص نمو أفكارهم وقيمهم، ولقد انتقد بشدة مصطلح العرق لأنه يؤدي إلى التمييز العنصري، ولقد اشتغل على النحو الذي يحكم لغة هذه القبائل واهتم بالعلاقة الموجودة بين اللغة والثقافة، ودرس كذلك العلاقات الموجودة بين الإبداع

الثقافي والتجارب الفردية والصيرورة النفسية. ولقد أثر (بواس) في مفكري عصره تأثيرا قويا، وانتقد تلك المذاهب التي جعلت من الحتمية أساسا لتفسيراتها في مجال الأنثروبولوجيا كالنزعة البيولوجية، ودعا إلى البحث العلمي المفصل والدقيق، لكن بالرغم من تعقد المشكلات الاجتماعية، وبالرغم من انتمائه إلى النزعة الانتشارية هناك من يدخله في مذهب آخر وهو المذهب التاريخي والثقافي الأميركي، واهتم كذلك في مجال أبحاثه بعلم النفس والإثنولوجيا اللسانية، ومن بين الانتقادات التي وجهت إليه أنه كان متأنيا ومبالغا في ذلك بالإضافة إلى هذا اتهم بالنزعة الاسمية (بمعنى أنه كان تجريديا أكثر منه واقعيا أي اهتم بالأبحاث النظرية). من عام 1896 إلى 1936م، درس بجامعة كولومبيا بنيويورك وتعتبر روث بنيديكث وكروبر وسابير من تلامذته.

2 - إليوت سميث: (Chmidt Eliot)
1868 - 1954:

أنثروبولوجي نمساوي كان أب كنيسة ومبشراً وأنثروبولوجياً. ولقد أسس مدرسة تسمى المدرسة التاريخية

الثقافية في "فيينا النمسا"، وأسس مجلة دولية سماها (Athropos)، واشتهر كذلك بنظرياته الكبرى في التاريخ الثقافي ودافع عن أفكار الانتشاريين؛ وتعتبر فكرة الله هي مركز أبحاثه، وكذلك بحث في التمثلات الدينية والعادات والطقوس عند الشعوب البدائية، كان مدير متحف الأنثروبولوجيا بإيطاليا عام 1927 وأستاذاً في جامعة فرايبورغ-سويسرا سنة 1941.

3 - ابن خلدون عبد الرحمن (1332 - 1406):

ولد في تونس مؤرخ، فيلسوف، عالم اجتماع رجل دولة وسياسة عربي، درس المنطق، الفلسفة، الفقه والتاريخ، عين واليا (بمعنى وزيراً للكتابة ثم سفيرا) ثم رحل إلى مصر في مرحلة ثالثة، درس في الأزهر وتولى قضاء المالكية(*) فيه حتى وفاته.

يعتبر ابن خلدون عالم، دقيق الملاحظة وذا نزعة

(*) المالكية: نسبة لمذهب مالك ابن أنس، سائد في المغرب العربي.

علمية متقدمة في أحكامه التاريخية، سبق علماء الغرب وفلاسفته في التأليف لفلسفة التاريخ، ولقد فهم التاريخ فهما حوليا، أي دورياً (الدورة التاريخية) وشبهه بحياة الإنسان، أي كل حضارة في تصوره تبدأ بمرحلة الطفولة، الشباب ومرحلة الشيخوخة وهي مرحلة السقوط والانحطاط ويعتبره الكثير من الأكاديميين المعترفين بفضل الحضارة العربية المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، ومن أشهر كتبه "المقدمة" التي وصفت بأنها خزانة علوم اجتماعية، سياسية، أدبية واقتصادية، وتعتبر "المقدمة" من أوائل المؤلفات التي تحدثت عن مسألة تطور التاريخ البشري تطورا علميا قائما على البحث في العوامل الموضوعية والثقافية من (اقتصاد، اجتماع، سياسة ودين) لتقدم المجتمع الإنساني، ومن بين المفاهيم الأساسية التي اشتهر بها ابن خلدون هي مفهوم العصبية أو الحمية بالفرنسية: (Le Clan) وهي سمة من سمات البداوة والتخلي عنها يعني التخلي عن الشعور بالوحدة والانتماء والأنفة وهذا يعني مرحلة الانحطاط والسقوط.

3 - النظرية البنيوية: (كلود ليفي-ستراوس)

تعريفها: بالفرنسية (Le Structuralisme) مشتقة من الاسم اللاتيني (Structura) ومعناها بنية.

تعريف اصطلاحي: البنية هي مجموعة من العناصر الثابتة المنسجمة والمتجانسة في ما بينها، وإذا حدث تغير في أحد عناصرها كان الخلل في مجموع البنية. مثال: جسم الإنسان هو بنية تتكون من عناصر أي الأعضاء كالقلب، الرئة، العين، الأذن... الخ، فإذا حدث خلل في أحدها اختلت البنية في مجموعها.

من هو كلود ليفي ستراوس؟ وما هي طبيعة نظريته؟ ما هي قواعدها وغاياتها وأبعادها؟

كلود ليفي ستراوس: فيلسوف وأنثروبولوجي فرنسي ولد عام 1908 ولا يزال على قيد الحياة، ولقد تأثر بعالم اللسانيات (جاكوبسون) (عالم لسانيات روسي). لقد طور البنيوية في الانثرولوجيا وذلك من خلال الكثير من أعمالها حيث طبق هذا المنهج التحليلي (البنيوي) بنجاح من خلال دراسة الأساطير في المراحل التالية:

1964 - 1971 - 1985 - 1991، ومــن خــلال

دراسته للعلاقات العائلية عام 1949، وبعد ذلك نجده قد اتجه إلى دراسة التجمعات البشرية التي نعرف أنها تسمى بعلم الاثنيات اليوم، وكان ذلك بين عامي 1958 و1962 إذ نجده في هذا العلم قد اعتمد على المقارنة من خلال أنظمة الزواج والعلاقات العائلية ومن خلال المقارنة بين مختلف القبائل والتجمعات التي بحث فيها.

ويظهر الجانب البنيوي في نظريته من خلال ما لاحظه من مبادئ بسيطة وبأعداد محدودة تحكم التجمعات البشرية، وأن كل تجمّع من هذه التجمعات البدائية تحكمه ثلاث بنيات وتسمى كذلك بالقواعد وهي:

بنية النسب، بنية السكن أو بنية المكان، وبنية الميراث وعلى كل عنصر من أفراد هذه التجمعات التي تشكل بنية أن لا يخرج عن هذا النسق؛ فهو مفروض فرضا إلزاميا على هذه التجمعات وعلى كل أفرادها. ولتوضيح ذلك عمق كلود ليفي ستراوس من هذه البنيات من خلال دراسته كذلك للمحرمات (الزواج بين الأقارب يعتبر محرما في بعض القبائل ويعتبر غير ذاك في مجتمعات أخرى)، والبحث في الأسس الثقافية لهذا الشكل من الزواج.

ولقد بحث كذلك في بنية تبادل النساء بين زوجين مختلفين وبنية التعارض بين الثقافة والطبيعة، ولقد حاول في كتابه علوم الأساطير (Les Mythologies) أن يبين أوجه التشابه والاختلاف بين الأساطير الموجودة عند القبائل البدائية وهي قابلة للتأويل وللتغير ويحكمها منطق ومقولات، ويحكمها فكر يسمى فكراً أسطورياً ولقد اقترح "كلود ليفي ستراوس" كذلك تطبيق البنيوية على علم الجمال من خلال دراسته للفنون التقليدية كالأقنعة التي كانت تستعملها هذه القبائل وأشكال التزيين والتجميل كثقب الأنف، الأذن واللسان ووضع ألوان على الجسد وتعاويذ.

لقد قال "ستراوس" ببنية الثقافة وحارب التمييز العنصري، وإن كل أبحاثه الميدانية تقريبا أنجزها في البرازيل، وقد درس في جامعة "تساوبولو" (Sao Paulo) وفي جامعات نيويورك وباريس، وفي كوليج دي فرانس (Collège de France).

المبحث الثاني

علاقة النظريات الكبرى في الانثروبولوجيا بمنهجية البحث الميداني أو (الحقلي)

مقدمة

تعتمد الأنثروبولوجيا على البحث الميداني كعنصر أساسي في الدقة والموضوعية، ولهذا فهي ترى سواء في الحقل العملي أو الميداني أو البحث ذي المرجعيات المتعددة والمختلفة كمنهج لبناء حقائقها. ومن هنا، ولضرورة معرفية ومنهجية، وجب أن نتساءل: ما طبيعة المنهج في البحث الأنثروبولوجي؟ وبالخصوص المنهج الميداني أو الحقلي؟

البحث الميداني أو الحقلي: بالفرنسية (Le travail de Terrain) بالإنجليزية (Fild Work)

البحث الميداني تسمية تنسب إلى ذلك البحث

الأنثروبولوجي أو الاجتماعي أو النفسي الذي يجعل من الميدان أو الحقل بمثابة مخبر لأبحاثه وتجاربه. فبعدما كان البحث الأنثروبولوجي يعتمد على التنظير كما هو الحال عند "مورغان" و"فرانس بواس" أصبح إمبريقيا تجريبيا، ولهذا فرض هذا المنهج نفسه على المختصين والمحترفين في مجال الأنثروبولوجيا الذين طبقوه على مختلف أبحاثهم وبالخصوص على المجتمعات البدائية التي سموها كذلك بالمجتمعات المتوحشة. وهكذا حدثت القطيعة بين مرحلة التنظير التي كانت تعتمد على مجرد انتقاء المعلومات من دون اختبارها أو التأكد من صحتها أو كذبها ومرحلة التجريب والاستقراء وهي مرحلة أصبح فيها الباحث رجل ميدان وكأنه جزء من موضوع الدراسة وعنصر من عناصر أو أفراد تلك القبيلة يعايشهم.

لقد بدأ البحث الميداني مع "مالينوفيسكي" من خلال بحثه الميداني الذي دام لسنوات طويلة من الملاحظة والمشاركة عن طريق المعايشة، وتعلم حتى لغتهم. لقد أصبح البحث الميداني في عصرنا الحالي نقطة امتحان

واختبار أساسية لكل مبتدأ في مجال الأنثروبولوجيا؛ إنه بمثابة المخبر الذي من خلاله يتحصل الباحث على الاحترافية والأكاديمية، ولهذا فإنه من الصعب الكذب أو تزييف الحقائق في البحث الميداني لأنه تجربة مباشرة، وإن البحث الميداني إذا كان لأول مرة بالنسبة للباحث فإنه يشبه من الناحية النفسية العمل على الذات، وبتعبير أدق فإنّ الباحث يقيم علاقة نفسية بين ذاته وبين المجتمع الذي يدرسه؛ وبالرغم من العراقيل العلمية فإن البحث الميداني يشبه تلك المغامرة الشخصية لكل باحث. وبفضل هذا البحث تخلّصت الأنثروبولوجيا من التأملات الفلسفية والحفرية أي (التاريخ الكرونولوجي) كما فعل "فريزر وليفي برول ومارسيل موس" الفرنسيين.

لقد تطورت شروط الدخول إلى البحث الميداني منذ "مالينوفسيكي" بالدرجة الأولى من حيث تمويل الأبحات، التي قامت الكثير من الدول بتمويلها وذلك لمصلحتها، على سبيل المثال: التحكم في ثقافة هذه الشعوب من أجل استعمارها. إن هذه الحركة في البحث الميداني

خلقت مختصين محترفين في الدول الأوروبية أو في أميركا ساهموا في تعليم وخلق مختصين محترفين، كذلك في الدول التي تمت عليها البحوث الأنثروبولوجية للتخفيف من شدة الاصطدام بين الدول المستعمرة وهذه الشعوب البدائية.

التحري والتحقيق الميداني المتعدد المجالات

منذ عام 1958 قامت فرنسا التي كانت تعتمد على الفلاحة من أجل تطوير الزراعة بمجموعة من الأبحاث الجماعية قادها أنثروبولوجيون، علماء اجتماع، مؤرخون وعلماء لسانيات ومختصون في الاقتصاد الفلاحي. ولقد قام العالم الأنثروبولوجي الفرنسي (رويلي) ببحث ميداني وكان ذلك عام 1966 م بمنطقة أنجي بفرنسا.

لقد تخرّج هذا العالم من جامعة "هارفرت" في أميركا، وقد دام بحثه (9 سنوات) وساعده في هذا البحث الميداني سبعة عشر باحثاً كلهم مختصون في مجلات مختلفة. وكان الهدف من هذا البحث الميداني هو معرفة النشاطات الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة (أنجي) من أجل

تطويرها. وما بين عام (1961 و1963) قامت مجموعة من العلماء الفرنسيين بجملة من الأبحاث في منطقة الفنيستار بفرنسا، وكان هؤلاء الباحثون على شيء من الاختلاف في مجالات بحثهم من علماء اجتماع، علماء نفس، علماء فيزياء، بيولوجيا وعلماء اقتصاد، وذلك طبعا لتطوير المجال الفلاحي في فرنسا. وما بين عام 1964 و1966 قام المركز الوطني للبحوث الإستراتيجية بفرنسا مع المركز الوطني للبحث الزراعي بأبحاثهما في المناطق الجبلية بفرنسا مستعينين كذلك بمجموعة من العلماء ذوي الاختصاصات المتعددة. وبين عام (1967 - 1969) وتحت رئاسة مخبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذي ينتمي إلى كوليج دي فرانس قام المركز بمجموعة من الأبحاث في المجال الزراعي واستعان كذلك بمجموعة من العلماء المتعددي الاختصاصات الذين طبعت أعمالهم فيما بعد، واعتبرت من أكثر الأبحاث علمية لحد الآن في مجال الأنثروبولوجيا بفرنسا، وبالخصوص الأنثروبولوجيا الزراعية.

ولمزيد من المعلومات اطلعوا على الكتب التالية:

- Vernant Burguière, *L'Anthropologie Rurale,* PUF 1975.

- Henri Pingaud, *L'Anthropologie Pluridiciplinaires,* PUF, 1978.

- George Zo'Nabend, *L'Anthropologie Appliquée,* PUF 1980.

المبحث الثالث

مسألة التغير الثقافي وعوامله

مقدمة

إن الثقافة غير ثابتة بطبيعتها في المجتمعات التي توجد فيها؛ إنها تختلف بين مجتمع وآخر، ومن عنصر إلى آخر. وإن هذا التغير يرتبط بمجموعة من العوامل والأسباب التي سنحاول في هذا المجال أن نكشف عنها ونحللها. ولهذا وجب أن نتساءل أولا ما هي الثقافة؟ وما هي العوامل التي تؤدي إلى التغير الثقافي؟

- قبل تحليل عوامل التغير الثقافي لابد أولاً من أن نعرف الثقافة.

- التعريف اللغوي والإيثمولوجي: "إن كلمة ثقافة

بالفرنسية (culture) مشتقة من اللاتينية (cultura) وتعني العناية بالأرض أو الزراعة"[1] وفي المعجم العربي مأخوذة من ثقف - يثقف - ثقافة والجمع ثقافات، ومعنى ثقف أي وجد الشيء، وكما جاء في القرآن الكريم: "واقتلوهم حيث ثقفتموهم"، أي أقتلوا مشركي مكة حيث وجدتموهم وهو إشارة إلى الكفّار.

- التعريف الاصطلاحي: "الثقافة هي تكوين روحي من خلاله يتم تهذيب الذوق،الذكاء والشخصية من أجل الوصول إلى الكل،وهكذا فإن الإنسان المثقف هو الذي يملك القدرة على إصدار الأحكام"[2].

تعريف سوسيولوجي (خاص بعلماء الاجتماع): "هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعارف، التقنيات، العادات والتقاليد والتي تميز مجتمعاً ما عن آخر،أو مجموعة بشرية عن أخرى"[3].

ويعرفها الأنثروبولوجي الأميركي المعاصر رالف

(1) (2) (3) Russ Jacqueline, *Dictionnaire de philosophie*, Bordas, 2004, P(85-86).

لينتون، "الثقافة هي تجسيد لتلك السلوكات المكتسبة والموزعة والتي تنتقل وتتوارث من قبل أعضاء مجتمع ما"[1].

وفي الكثير من الكتب الأنثروبولوجية أو الإثنولوجية نجد كلمة "ثقافة" مرادفة للكلمات التالية: قبيلة، مجتمع،حضارة وإثنية بمعنى (عرف). ويعتبر تيلور الأنثروبولوجي الإنجليزي المعاصر بأنه أول من أعطى تعريفا للثقافة عام 1871، وهو الذي أدرجناه سابقا في التعريف السوسيولوجي للثقافة. وقد وضع مصطلح علم الثقافة (culturologie) لتبيان أن الثقافة هي علم له موضوع، منهج وقوانين ككل العلوم الأخرى،وقد عرف "كروبر الأنثروبولوجي" الأميركي المعاصر وتلميذ (بواس) علم الثقافة بأنه: " هو ذلك العلم الذي يسمح بفهم الظاهرة الاجتماعية"[2].

---

(1) Linton Ralphe, *Le fondement Culturel de la personnalité,* dunod, 1975, P33.

(2) Gresle François, Panoff Michel, *Dictionnaire des Sciences Humaines,* Nathan, 1994 , P80.

- بعد أن انتهينا من تعريف مصطلح ثقافة والعناصر المرتبطة به سنحاول الآن أن نعرّف التغير الثقافي وعوامله.

- تعريف التغير الثقافي والاجتماعي: يستعمل هذا المصطلح للإشارة إلى تلك التغيرات الثقافية التي تحدث في مجتمع ما،أو تجمع بشري أو إثنية ما، من دون إصدار أحكام قيمة حول معنى هذا التغير (الوصف والتحليل) ومن دون النقد والتقييم.

- إن مفهوم التغير الثقافي والاجتماعي أنتج صعوبتين منهجيتين أساسيتين هما:

أ - إن التغير الثقافي عندما يبحث في دراسة ما هو متغير (غير الثابت) فإنه يضيع في فضاء الظرفية والمؤقت ليعطي أهمية أكثر لما هو جديد في الظاهرة الثقافية ويهمل الأصل والثابت في الثقافة.

ب - إن التغير الثقافي عندما يحاول ويريد الكشف عن التغيرات العميقة والأسباب الخفية لذلك، فإنه ينتقل من المجالات العلمية إلى المجالات الميتافيزيقية والغيبية.

التي لا تمت بصلة إلى المجال الأنثروبولوجي، باعتباره علماً وضعياً له موضوع، منهج وقوانين وهنا يخرج عن نطاق العلم لأنَّ الانثربولوجيا كعلم ملزمة باحترام القواعد الموضوعية والعلمية.

نستنتج أن تحليل التغير الثقافي هو أكثر صعوبة من ضده وهو الثابت والدائم الثقافي والاجتماعي.

هذا بعد تعريفنا لمفهوم التغير الثقافي والاجتماعي ويجب أن نتساءل: ما هي أهم العوامل المؤدية إلى ذلك؟

هناك عوامل عدة تحث على التغيرات الثقافية والاجتماعية من بينها:

الحداثة الصناعية والتكنولوجية

إن التحديث الصناعي والتكنولوجي الذي وصل إليه الغرب أفرز قيما ثقافية جديدة أحدثت تغيرات في الثقافات الأصلية لهذه المجتمعات، مثلا سيطرة القيم المادية على القيم الروحية، تمزق العائلة وسيطرة الفردانية إلخ.........

الهجرة والإدماج الثقافي

تطرح هذه المشكلة بالخصوص في المجتمعات التي تتألف تركيبتها الثقافية والاجتماعية من عدة أجناس وكل ثقافة تريد أن تفرض نفسها وتسيطر على الأخرى، وهذا ما نجده في أوروبا وأميركا على سبيل المثال. ففي أميركا نجد سيطرة الثقافة الأنكلوساكسونية (ثقافة الدول الناطقة باللغة الانجليزية) وهي التي تفرض نفسها على الثقافات الأخرى؛ فالمهاجر إلى هذا البلد يجب عليه أن يندمج في هذه الثقافة ويتعايش معها وإذا كان العكس فإنه سيهمش ويعزل.

ج - اللاثقافة:

تسمى بالفرنسية: (l'acculturation) وقد وضع هذا المصطلح عالم الأنثروبولوجيا الفرنسية بلانديي (Balandier). وهو يشير من خلاله إلى تلك التغيرات التي تحدث عندما تلتقي ثقافتان مختلفتان فتحصل تغيرات تفرضها ثقافة أجنبية على ثقافة محلية مثال: الاستعمار الفرنسي للجزائر هو التقاء بين ثقافيتين مختلفتين حاولت الثقافة الفرنسية أن تفرض نفسها على الثقافة الجزائرية

لتحدث تغيرات فيها، وفي هذه الحالة يمكن أن تسمى حالة اللاثقافة التي حدثت في الجزائر بمصطلح طمس الشخصية الوطنية.

د - التكيف: (l'adaptation) أو (la survivance)

وهو عامل من عوامل التغير الثقافي ومعناه التكيف والتأقلم مع المتغيرات الجديدة التي تحدث في ثقافة ما.

هـ - العولمة: (la mondialisation) أو (la globalisation)

وبالعربية الكوكبية، لقد حاولت العولمة أن تحدث تغيرات في الثقافات المحلية وتفكيكها وجعلها تخضع لنموذج الثقافة الأقوى وهي الثقافة الأوروبية والأميركية.

خاتمة

إن التغير الثقافي في عالمنا المعاصر أصبح ظاهرة بديهية في عالم متغير غير ثابت؛ ففي كل لحظة هناك جديد وفي لحظة نشهد زوال عناصر ثقافية وظهور أخرى جديدة، وما دامت الثقافة الأميركية والاوروبية هي الثقافة المسيطرة في عالمنا، فإن قيمها هي السائدة.

المبحث الرابع

أهم المقاربات بين
الانثروبولوجيا والاثنولوجيا

مقدمة

تكون الأنثروبولوجيا مجموعة من العلاقات المنهجية والمعرفية مع علم الأجناس البشرية أو ما يسمى بالإثنولوجيا إذ تجمعهما الكثير من النقاط المشتركة والمتشابهة. هذا من جهة ومن جهة أخرى هناك حاجة إلزامية وملحة من قبل الأنثروبولوجيا للإثنولوجيا حتى تحقق الأنثروبولوجيا أهدافها المتمثلة في النتائج والحقائق العلمية الدقيقة، والشيء نفسه ينطبق على الإثنولوجيا، ومن هنا وجب أن نتساءل: ما علاقة الأنثروبولوجيا بالإثنولوجيا؟ قبل أن ندخل في سبر عمق هذه العلاقة وجب أن نعرف الإثنولوجيا:

تعريف الإثنولوجيا: (Ethnologie) يعتبر العالم السويسري شافان (Chavannes) أول من استعمل هذه

الكلمة، وكان ذلك عام 1787م في كتابه: (محاولة حول التربية الفكرية مع مشروع علم جديد)، وإن كلمة إثنولوجيا كانت مرادفة لعلم تصنيف الأعراق أو الأجناس، وذلك في بداية (القرن 19) بمعنى أنها كانت في هذا القرن جزءاً مما يسمى حاليا بالأنثروبولوجيا البيولوجية، أما في (القرن 20) وبالضبط في منتصفه، فإنها أصبحت تعني مجموعة العلوم الاجتماعية التي تدرس المجتمعات البدائية أو ما يسمى بإنسان المستحثات. وهنا ومن خلال هذا المعنى فإن الإثنولوجيا لم تختلف عن الأنثروبولوجيا بل هي نفسها الأنثروبولوجيا أو هي جزء منها، وفي معناها الضيق المعاصر فهي تعني الدراسات التركيبية والنتائج النظرية حول الإثنيات أو الأجناس من خلال الوثائق الإثنوغرافية التي تتجلى من خلال الحقائق التالية: إن الأثنولوجيا تدرس الأعراق من خلال ثقافتها، طرق التواصل لديها ومن خلال أصولها العرقية ومن خلال ماضيها من أجل إعادة بنائه، وفي هذا المعنى نجد الإنجليز قد ربطوا كلمة الأثنولوجيا بدراسة المشكلات العامة التي تكون الحقل الأساسي للأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية بمعنى أن

الاثنولوجيا ما هي إلا انثروبولوجيا اجتماعية وثقافية أي مرادفة لها؛ إن هذه المقاربة بينهما من طرف الدول الانكلوساكسونية لم تقبل كلية في فرنسا.

وكما للانثروبولوجيا فروع كثيرة نجد الاثنولوجيا لها كذلك مجالات مختلفة وأشهرها،

1- **إثنولوجيا التاريخ**: هو فرع من الإثنولوجيا يبحث في إعادة تكوين المجتمعات التي انقرضت أو فقدت ثقافتها وذلك من خلال أركيولوجيا ما قبل التاريخ أو الأرشيف أو الاستنتاجات المعتمدة على البراهين غير المباشرة: مثال: إثنولوجيا التاريخ لمجتمع الأنكا(*). ومجتمع الأزتك(**).

2- **إثنولوجيا الفلاحة**: يهتم هذا الفرع بدراسة التجمعات الفلاحية أو الزراعية داخل المجتمعات الصناعية.

(*) الأنكا: قبائل الهنود الحمر في أميركا اللاتينية وبالخصوص في المكسيك.

(**) الأزتك: قبائل الهنود الحر في أميركا الجنوبية.

3- **إثنولوجيا المدينة**: تهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية بتجمعات ضيقة داخل المدينة مثال: بن ميزاب مثلا مدينة وهران، أو القبائل.

هذا وقد صدرت مجلة لها شأن حول الإثنولوجيا، وهي مجلة أميركية، وذلك عام 1962 من طرف عالم الأنثروبولوجيا الأميركي موردوك (Murdok)، وطبعت من قبل معهد الأنثروبولوجيا لجامعة بيتسبورغ (الولايات المتحدة الأميركية) وهي تهتم بالظواهر الأنثروبولوجية والإثنولوجية.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التحليلية للأنثروبولوجيا توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن إيجازها في ما يلي:

1- إن الأنثروبولوجيا لم تولد ولم تتشكل دفعة واحدة، بل هي تراكم متواصل ومستمر من المعارف الإنسانية المختلفة.

2- بالرغم من أن الأنثروبولوجيا احتفظت بالتعريف نفسه إلا أن موضوعاتها اختلفت وتميزت بحسب العصور ووفاقاً للموضوعات المدروسة والمعالجة.

3- إن الأنثروبولوجيا ليست علما مستقلا، بل هي تداخل بين عدة علوم ومعارف، كعلم النفس، علم الاجتماع، البيولوجيا، الفيزياء، علم الاقتصاد، علم السياسة وعلم الاجتماع ....

4- وهذا ما نتج عنه الكثير من الفروع الأنثروبولوجية

كالأنثروبولوجيا اللغوية، الأنثروبولوجيا النفسية، الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الأنثروبولوجيا الاقتصادية والأنثروبولوجيا البيولوجية والفيزيائية....

5- إن هذه الفروع بدورها تؤسس الكثير من المدارس الأنثروبولوجية كالمدرسة البنيوية، الانتشارية، الوظيفية والبنائية الوظيفية، التطورية والاجتماعية الثقافية.

6- ومما زاد من حيوية الأنثروبولوجيا ودقّتها هو اعتمادها على البحث الميداني أو الحقلي كأداة لإثبات صحة نظرياتها.

هذا وفي أبحاثنا المقبلة سنحاول تحليل مشكلات أنثروبولوجية أخرى.

المحتويات

حاولنا في هذا الكتاب دراسة الأنثروبولوجيا باعتبارها آخر العلوم الإنسانية من حيث النشأة – ومن حيث النتائج العلمية الهائلة التي حققتها ولتبيان ذلك أسسنا لمفهوم الأنثروبولوجيا في معانيه الدلالية والوظيفية وفي علاقته بالعلوم الأخرى كعلم الاجتماع، علم النفس، علوم التربية، علم الاقتصاد والاثنولوجيا .... الخ

وربطنا هذا العلم بمسألة التطور المعرفي والسياقي اللذين ساهما في استقلاليته من حيث الموضوع والمنهج، ضف إلى ذلك الصراعات الكبرى بين مختلف أقطاب هذا العلم والنظريات التي أبدعوها وأسسوها وهذا ما أعطى لهذا العلم ثراءً مفاهيمياً نظريا وإجرائياً ولهذا نجده قد رسم ملامح مستقبلية تجعل منه أكثر العلوم الإنسانية فاعلية من حيث الأكاديمية والموضوعية.

(المؤلف)

مصطفى تيلوين

– أستاذ بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية – الجزائر.

– حاصل على درجة ماجستير فلسفة العلوم، وهو بصدد التحضير لنيل شهادة الدكتوراه.

– متخصص في الدراسات الابستيمولوجية المعاصرة.

ISBN 978-9953-71-706-7

